شهادة على نفاقي

آسر يوسف

شهادة على نفاقي

أسر يوسف

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

إسلام جاويش

تدقيق لغوي :

د. إيمان الدواخلي

رقم الإيداع : ٢٠١١/٢٢٨٥٩

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٠٨١- ٠

شهادة على نفاقي

آسر يوسف

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

* إلى شهداء ثورة يناير، الذين آثروا حياة شعبهم على حياهم، فدفعوا أرواحهم ثمنًا لذلك.

* إلى كل ثائر صرخ مناديًا بالحرية، وكل مصري ناضل من أجلها.

* إلى سر وجودي في هذه الحياة.

* إلى كل من نافق نفسه، ولم يطق كتمان نفاقه لنفسه، فراح يبوح به بلا خوف.

* إلى كل من علمني حرفًا، وفشلت في أن أكون له عبدًا.

إلى كل هؤلاء أهدى باكورة أعمالي.

شكر وتقدير

* للأستاذ يحيى هاشم، مدير دار اكتب للنشر والتوزيع، الذي احتضن موهبتي، وساندني، حتى وضعت قدمي على أول الطريق.

* لأصدقاء رحلة كفاح الكيمياء والعقاقير، بكلية الصيدلة جامعة المنصورة، والتي لم تنته بعد.

" لست الأفضل ولكن لي أسلوبي

لذا سأظل دائمًا أتقبل رأى الناقد والحاسد.. فالأول يصحح مساري، والثاني يزيد من إصراري ".



مقدمة أولى

حقيقة الأمر، أنا لا أعرف لبدايتي معها موعدًا محددًا، باليوم والشهر والسنة، ولكن كل ما أستطيع قوله عنها.. أقصد الكتابة..

"أنني كنت أكتب بلا أية أهداف، سوى فك قيود ما كان يكمن بداخلي من مشاعر مراهقة، وما يرقد بذهني من أفكار، يغلفها طابع السرية، بما يمنع غيري من معرفتها. بدأتها بكتابة بعض الخواطر، ثم تطور بي الأمر، فصرت أكتب مواقفي اليومية، ومن ثم مذكرات حياتي هذه، التي كتبتها وأحرقتها عدة مرات."

لم أكن أعلم إطلاقًا، منذ أن أمسكت بقلمي لأول مرة بأن المطاف سينتهي بي عند ممارسة الكتابة، وامتهانها.. ولكن هذا ما حدث بالفعل. فمع بداية إحساسي بموهبتي، التي كثيرًا ما شككت فيها، جاءتني فكرة كتابة رواية أدبية!..كانت كلمة رواية بالنسبة لي آنذاك ثقيلة للغاية، يعجز لساني عن النطق بها، ولكي يصح القول، كانت مستحيلة التخيل. لذا مكثت هذه الفكرة بداخلي، حتى الخامس من يوليو عام ٢٠١٠م، حيث شهد هذا التاريخ انتصارًا ساحقًا لفكرتي، التي ربعت بداخلي طويلًا، على محاولات كبتي لها، التي باءت جميعها بالفشل، ومن ثم استسلمت للضغط الفكري، وبدأت في ترجمة فكرتي لحروف، ومن الحروف شكلت كلمات، ومن الكلمات كونت جملًا، ومن الجمل صنعت سطورًا، ومن السطور صفحات، ومن الصفحات أجزاء، ومن الأجزاء نسجت أول أعمالي الروائية ((غلطة))....

كان طريفًا أن يصبح ابن الثمانية عشر ربيعًا روائيًا، ولكن لم غريباً، فهناك من الكتاب (أجاثا كريستي)، التي بدأت رحلتها في التاسعة من عمرها.. وعلى الرغم من إنه لا يوجد أي وجه مقارنة بيني، وبين صاحبة الروايات الأكثر مبيعًا في العالم، إلا إنني منذ اللحظة الأولى، التي قررت فيها امتهان الكتابة، عزمت على أن يكون لي أسلوب خاص، بطقوس خاصة، لعل أبرزها اختياري للعنوان. فأنا بعكس كثير من الكتّاب (في حالة اعتباري كاتبًا لا سامح الله) أختار العنوان قبل أن أبدأ في كتابة أول حرف. وأذكر أنني لم أتعرض إطلاقًا، في مرة من المرات، لكتابة العديد من العناوين، ولا لهذه الحيرة، التي يشعر بها كثيرون غيري أثناء عنونة كتاباتهم، باعتبار أن العنوان من أهم عوامل الجذب الرئيسية، وأحد أهم المتورطين في إثارة شهوة القراءة لدى القارئ، بمجرد أن تقع عينه عليه، إن لم يكن المتورط الرئيسي في ذلك.

بمرور الأيام، تحول اختيار العنوان لعادة، ومن ثم أصبح مبدأ من أهم مبادئي في الكتابة. فأنا في أغلب الأحيان، إن لم يكن كلها، أستقر على العنوان، بعدما أُلمم بأحداث ما سأكتبه.. وبالرغم من قراءتي لروايات عدة، إلا إنني كنت أبحث دائمًا عن التجديد، حتى لو خالف هذا التجديد العُرف. فالتجديد بالنسبة لي لا يعنى الاعتراض على أصول هذا الفن، ولا حتى التقليل من شأنه، فلكل كاتب أسلوب خاص، وطريقة في التعبير، يستثنى بهما عن غيره من الكتاب، وليس بالضرورة أن يميزاه. لذا كان عليّ أن أختار لنفسي أيضًا أسلوبًا خاصًا بكتابة الرواية، من أبرز مظاهره أن أختم كل رواية لي بقصيدة

شعرية، تصف ما دار بها من أحداث، معبرةً عن مضمونها، ومن هنا كانت بدايتي الحقيقية مع كتابة الشعر.

استغرقت كتابة روايتي الأولى (غلطة) ما يقرب من ثلاثة شهور، وطبقًا لأسلوبي الخاص، ختمتها بما أعدها أولى قصائدي (الكبير والفقير)، لأشعر بعدها بسعادة عارمة، سرعان ما تحولت لخوف من عدم تصديقي المعتاد لنفسي، وتشكيكي الدائم في كوني كاتبًا. حاولت جاهدًا إقناع نفسي بأن ما أفعله هراء ليس إلا، ولكن كان هناك شيء ما يمنعني من الاقتناع بذلك. كنت أشعر بأن هناك شيء ما ينقصني، ليكتمل اقتناعي بموهبتي.. شيء أحتاجه، ليكون رادعًا لما يحوم حولي من تشكيك للنفس، جرعات إحباط متتالية أتجرعها في كل ثانية أُقر فيها بأنني أصبحت كاتبًا،كنت أعلم ما ينقصني، ولكن لم يكن بوسعي أن أتمه ليصبح كل شيء على ما يرام. أفكر، وأبتكر، وأُهدر وقتًا ليس بهين في كتابة، أعدها هراءً، مع أنني لم أُطلع أحدًا عليها. فقط أطلعت نفسي.. إذًا ما كان ينقصني هو أن أجد مُقيِّمًا.

لم يكن أمامي سوى البحث عمن يقيّم لي ما كتبته، ليزداد اقتناعي، وبالتالي يمكنني أن أتخلى عن التقليل من شأن موهبتي بعض الشيء. انتظرت طويلًا، حتى أتتني الجرأة الكافية، وتخليت عن صمتي، وألقيت بباكورة قصائدي على بعض أصدقائي، ليحدث ما لم يخطر على بالي إطلاقًا. فقد نالت قصيدتي نصيب من الإعجاب، ازداد على إثره تصديقي لموهبتي، واقتناعي بها، بدرجة جعلتني أشعر بطمأنينة غير مسبوقة على بدايتي ككاتب، ولم أقل كشاعر.

بعد أن اطمأننت على بدايتي، كان على أن أخطو أولى خطواتي في طريق تحقيق الحلم، وظهور العمل للنور. علمت وقتها بأن الطريق عسير، وملئ بالعقبات، إلا أن رغبتي في النيل بشرف المحاولة دفعتني لأن ألقى بما علمته وراء ظهري، فذهبت بصحبة أحد أصدقائي لدار الكتب والوثائق القومية، وأودعت روايتي هناك، وتسلمت إيصالًا برقم الإيداع، ومن ثم بدأت رحلة البحث عن دار تتولى مهام طباعة ونشر وتوزيع روايتي. ولم يكن يقلقني في هذا شيء سوى استخدامي اللغة العامية، كلغة حوار بين شخصيات الرواية. إلا أن هذا الشيء، المقلق بالنسبة لي، قد نال إعجاب الكثيرين ممن عرضت عليهم روايتي، لأجد أن المشكلة تكمن في كوني مبتدئا، يمكن استغلاله وبجدارة، سواء من الناحية المادية، أو ما أطلقت عليه (الاستغلال العقدي)، عن طريق إلزامي ببنود معينة، وفرض أخرى.

رحلة معاناة استمرت حتى مطلع يناير من هذا العام ٢٠١١م، انتهت باختياري دار نشر – لا أجد داعيا لذكر اسمها – ستتولى طبع روايتي الأولى، في مدة أقصاها شهرين، ومن ثم توزيعها، لأقرر بعدها طي صفحة هذه الرواية، ونسيانها، والتفرغ لزيادة إنتاجي الشعري، وبالأخص الحر منه.

تطرقت، في جميع قصائدي، لموضوعات كثيرًا ما كانت تشغل الرأي العام، معتمدًا في ذلك على النقد الساخر، ملمًا بسلبيات الأمور. فالشعر عندي أصدق مرآة، تعكس واقعًا، بنقل صورة حية معبرة وطبيعية. في كل مرة كان يشجعني فيها المقربون إليّ، كنت أسعى لزيادة رصيدي الشعري، فادخرت منذ هذا التاريخ، الذي

انتهيت فيه من كتابة روايتي الأولى، وحتى قيام ثورة ٢٥ يناير ثمان قصائد باستثناء قصيدتي الأولى، هم (التوريث،الزمان،أمن دولة،العروبة،لحد إمتى؟،كفاية تجاوزات،إحنا واحد،عتاب حبيب لحبيبته) وقصيدة أخرى لا علاقة لها بما كان يجرى في مصر من أحداث.

كانت قصيدة (عتاب حبيب لحبيبته) آخر ما كتبت قبل اندلاع ثورة يناير، التي أطاحت بالديكتاتور حسنى مبارك ونظامه. اعتبرت الثورة خط فاصل في حياتي، ووضعت بنجاحها نقطة، أنهيت بها ما يقرب من تسعة عشر عامًا، قضيتهم جميعًا في ظلال المخلوع ونظامه، لأبدأ بعدها صفحة جديدة، من أول السطر، سُجل فسخ عقد طباعة ونشر وتوزيع روايتي الأولى أول أحداثها.

لم يكن هذا الأمر غريبًا بالنسبة لي، لأنني من سعى لتحقيقه، فروايتي الأولى سلطت الضوء على ظواهر سلبية كثيرة، اتسم بها عهد المخلوع مبارك، من خلال مجموعة من الفقراء تقودهم الظروف لفعل أشياء لا يحمد عقباها، فروح التشاؤم والحزن وضياع الأمل، التي سيطرت على أحداث الرواية كانت بالطبع متناقضة، ولا تتفق إطلاقًا مع روح الفرح والحرية والأمل، التي سيطرت على المصريين جميعًا بإسقاط حسنى مبارك ونظامه، وهذا لا يعنى سوى الفشل المروع لروايتي، لو نشرت في هذا التوقيت، وفي مثل هذه الظروف.

كانت ثورة ٢٥ يناير مادة خصبة لكتابة الشعر، على الأقل بالنسبة لي. فكتبت قبل تنحى مبارك، أو بمعنى أقرب للصحة خلعه، ثلاث قصائد (انتفاضة،رد الجميل،وصية شهيد) وفور إعلان خبر

التنحي، كتبت قصيدة (الهاء)، التي أعدها أسرع ما كتبت في حياتي. والغريب أنها فصيحة اللغة، ومن ثم كتبت (صحوة ضمير،رسالة من شهيد،شهيد،حكاية مواطن أدلى بصوته) وكانت الأخيرة آخر ما كتبت، قبل أن أقرر تنفيذ فكرة إصدار أول كتاباتي في صورة ديوان، يجمع إنتاجي الشعري قبل وأثناء وبعد الثورة المصرية، وذلك بالرغم من قلة عدد القصائد التي سيضمها بين طياته.

صممت على تنفيذ فكرتي، ولكن بشرط أن يكون هناك شيء ما يذكر من هذا التجديد، الذي دائمًا ما أبحث عنه. وبالفعل توصلت لإضافة لمسة جديدة، بطابع خاص، لم أصادفها على الإطلاق في أي ديوان قرأته، فقررت أن أكتب في كل مرة مقالًا، أوضح فيه دوافع كتابة القصيدة، وحكايتي معها، ثم أرفقه بها لتدعيمها، ولهذا يمكنني أن أعطى كتابي تصنيفًا جديدًا، ينفرد به عن بقية دواوين الشعر، ألا وهو (ديوان شعري مقالي) حيث أن شعري هنا نسجت له ثوبًا مقاليًا، وألبسته إياه.

تعتبر مقالات الجزء الأول من هذا الكتاب جزء من أرشيفي الأدبي، الذي كتبته قبل اندلاع ثورة ٢٥ يناير، لذا لابد من النظر إليها بعيون الماضي، فهي صورة مشابهة للأصل، تم تقويمها بشكل يتناسب مع النشر...

(١)

أرشيفي الشعرى والمقالى

ما كتبته

بينى وبين نفسى

وأنا أعلم كل العلم بأنه لن يرى النور

فقط سينسى مع الأيام

ويدفن

بعد أن يلقى حتفه إلى مزبلة كل من خاف سلم

زمن الكبار مافيش فيه للفقير مكان

عشان كده لازم أى فقير يحلم على قده أو ما يحلمش خالص

لأنه أصلًا مش في الحسبان

أصل العين مهما كان عمرها ما تعلا عن الحاجب

وكمان

على قد لحافك مد رجليك

ولا إيه؟!

زمن الكبار...خد بالجزمه لو كنت فقير واحمد ربك انك عايش

والحق...ما يزعلش حد

الكبير والفقير

(كشف تقرير التنمية البشرية لهذا العام٢٠١٠م أن هناك ما يقارب ٢٧,٥ مليون مواطن مصري يعيشون تحت خط الفقر، أي بنسبة تعادل ٢١,٦٪ من السكان، وأن ٧,٥ مليون مواطن يعيشون تحت خط الفقر المدقع، بنسبة ٦,١٪ من إجمالي السكان، وتتركز هذه النسب في المناطق الريفية أكثر منها في الحضر، كما يحظى صعيد مصر بالنصيب الأكبر من عدد الأشخاص، الذين يعيشون تحت خط الفقر، حيث بلغت نسبتهم ٤٣,٧٪ من إجمالي عدد فقراء مصر).

إحصائيات ما إن تقع عليها العين، وينطق بها اللسان حتى يصاب المرء منا بفزع شديد، يقوده للترحم على حياته، وهو حي...تعمدت أن أبدأ كلامي بهذه الإحصائيات، لأوضح حال مصرنا - بلد الخير- وما وصلت إليه هذه الأيام، التي أصبح المواطن المصري فيها سلعة، تباع بأبخس ثمن، إن كان له ثمن من الأساس، والفضل كل الفضل يرجع لهذه السياسة المتبعة، والتي لا توصف بكلمة سوى بأنها فاشلة بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ. سياسة دائمًا ما تذكرني بحرب الإبادة البشرية، أو علم اليوجينيا، هذا المصطلح الذي صاغه السير فرانسيس جالتون عام ١٨٨٣م ويعنى (علم تحسين الإنسان، عن طريق منح السلالات الأكثر صلاحية فرصة أفضل للتكاثر السريع، مقارنة

بغيرها من السلالات الأقل صلاحية) فمن وجه نظر هذا الجالتون هناك من البشر من هم أفضل من غيرهم، ولهذا فهم يستحقون أن ينجبوا أكثر من غيرهم، ليمثلوا في الجيل التالي بنسبة تفوق نسبتهم في الجيل الحالي، عن طريق زيادة نسلهم (اليوجينيا الإيجابية) وتقليل نسل من لا يستحقون (اليوجينيا السلبية).

ظن الكثيرون أن هذا العلم قد انتهى بنهاية هتلر، ولكن هذا ليس صحيحًا بالمرة، فهناك أنظمة سياسية عدة تتبعه، كأحد أهم مناهج سياستها، من أبرزها سياسة الديكتاتور مبارك وحاشيته، المتبعة في مصر منذ زمن بعيد. فنحن إذا كنا بصدد رصد منهجية هذا العلم، المنقرض ظاهريًا، سنجد أن الفقر في مصر يحظى بالمرتبة الأولى. فشريحة الفقراء في مصر، من وجهة نظر أولى الأمر، هم من لا يستحقون. لذا لابد من إبادتهم، ليُمثل غيرهم ممن يستحقون بنسبة تفوق نسبتهم في الجيل الحالي. وبما أن الفقر في مصر انتشر كانتشار النار في الهشيم، متصدرًا قائمة الأمراض الوبائية الوراثية، التي يورثها الآباء المصابون لأبنائهم، إذن فابن الفقير لابد أن يولد ويعيش ويموت فقيرًا، حتى أصبح الفقر سلالة، يزداد نسلها يوم بعد الآخر، بدرجة دفعت النظام لوضع المشكلة في الاعتبار.

ولما كان شغل النظام الشاغل هو البحث عن حل لها، كانت حرب الإبادة البشرية هي الحل الأوحد، والأمثل، وذلك بتطبيق سياسة الإهمال (التطنيش)، فلا يجد هؤلاء الفقراء مأوى لهم، ولا ملجأ، ولا حتى قوت يومهم، فيبيدهم الجوع، وتُحلل أجسادهم بنهاية المطاف، بفعل ثرى العشوائيات، والمقابر التي استوطنوها طيلة عمرهم، دون أن يشعر بهم أحد. فعالمهم حيزه ضيق، ما إن يخرجوا منه ليلقوا نظرة على العالم الخارجى، الذي لا يرضى بغير الأثرياء والكبار سكانًا له، حتى يصابوا بالجنون. فطبقًا لهذه النتائج المبهرة من الإبادة، فإن اليوجينيا السلبية كانت أمثل حل لمشكلة الفقر، وخير شاهد على حكمة مبارك وحاشيته، وحنكتهم في التعامل مع الأمور، فلا يهم كون جميع النتائج سلبية، المهم هو الحل.

وهنا أجد سؤالًا يفرض نفسه: أين هي العدالة الاجتماعية، التي يتغنى بها هؤلاء الكبار؟!!

وإذا كان السؤال قد فرض نفسه، فإن الإجابة هي الأخرى تفرض نفسها، وبقوة في كلمة واحدة: العدالة الاجتماعية في مصر منعدمة.. نعم منعدمة. ولما لا تكون هكذا، والنصيب الأكبر لأناس بعينهم، لا لأحد سواهم؟.. لما لا تكون هكذا، ومازالت نظرة العبودية تترعرع يومًا تلو الآخر، وكأننا نحيا في عصور ما قبل الجاهلية؟!

(دائمًا ما ينظر هؤلاء الكبار لمن هم دونهم على إنهم عبيد، لم يخلقوا سوى لخدمتهم، والانحناء في تحيتهم، وتلقيبهم بكل ما هو مزيف من ألقاب، كالباشا والبيه وغيرها.

وهنا يتضح غباء هؤلاء، فلو أن واحدًا منهم تأمل بدقة هذا التفاوت الطبيعي الحادث في طبقات المجتمع، لما ارتكبوا جرمًا كهذا. فلهذا التفاوت حكمة، نعلمها جميعًا.. فالله عز وجل خلق من البشر من هو ثريًا ثراء فاحشًا، ومن هو أقل منه ثراء، مرورًا بأصحاب الطبقة المتوسطة، وصولًا للفقراء، ونهاية بمن هم تحت خط الفقر، وما أكثرهم. فالحكمة في هذا تكمن في الإحساس، ولا شيء غيره. فهذا الثرى لو أحس بمعاناة غيره، معدومي الثراء، وقدم لهم يد العون، لا بماله، وإنما على الأقل بنظرة عطف، لا تحمل من معاني المنّة ما يخدش الكرامة ويؤذى المشاعر، فإن هذا سيساعدنا، بجانب تطبيق فرض الله بالزكاة، في الوصول لمستوى متزن من التكافؤ الاجتماعي، لا يفقد الثرى ثراءه، بل على العكس يباركه، ولا يجعل الفقير من الأغنياء، بل على العكس يضمن له العيش بكرامة، وسط من هم أثرياء بطبيعة الحال، وذلك بما يتفق مع المبادئ الإنسانية، ويحقق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، والتي أقرها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا.

إن هذا المستوى المتزن من التكافؤ الاجتماعي يعد من أبسط حقوق الحياة، وبدون الوصول إليه، حتمًا سيأتي اليوم، الذي تتوقف فيه مركب الحياة عن السير، فالثرى سيظل يزداد ثراءً، والفقير فقرًا، إلى أن تنقرض طبقة الفقراء، طبقًا لما تقره اليوجينيا السلبية من مبادئ، وهنا لا يلوم الثرى أحدًا سوى نفسه، التي قصرت في حق شرعه الله لمن هم دونه.

لذا سأخاطبك أيها الثرى بمنطق وعقلانية، على أمل أن تصلك رسالتي وهذه دعوة منى لتطلق العنان لخيالك للحظات..

"أيها الثرى.. أنت امتنعت عن النظر لمن هو دونك، حتى بطرف عينك، والآن تحتاج إليه كاحتياجك للماء والهواء، ألم يبدُ هذا غريبًا؟!!..."

أسمعك الآن تقول لى بأن هذا ليس بغريب..

وأنا أؤكد.. "بأنه القدر يا عزيزى الثرى.. مع خالص احتقارى لك.."

فما عليك الآن يا عزيزى بعد أن تسببت بجشعك في انقراض خادمك، هو أن تبحث عمن يؤدى دوره.. ابحث عمن سيطهو طعامك، ويزين سفرتك.. ابحث عمن يخلصك

من قاذوراتك، وينظف ثيابك.. ابحث عمن سينحنى لك في تحية، ويلقبك بالباشا والبيه.. ابحث عمن ستوبخه كل لحظة، بسبب وبغير سبب.. ابحث وابحث وابحث...واطمئن، لن تجد أحدًا من هؤلاء، لأن الخادم والطباخ والسفرجي وعامل النظافة والسائق وعامل المصنع وصانع الخبز والفلاح ورجل الأمن وغيرهم كثيرون سيرحلون، ولكن بلا رجعة، باعتبارهم أصحاب الطبقة المنقرضة أو المُبادة، بفعل جهلك وجشعك وحماقتك....

وهنا سيتوجب عليك أن تتحمل كل هذه الأعباء، وتتقمص كل هذه الشخصيات، لتؤدى أدوارهم.. ولكن...

هل ستقدر أيها المرفه المنعم على الانحدار بمستواك، فتصبح خادمًا، أو سائقًا...إلخ ؟!!

بالطبع لن تقدر..

لن تقدر حتى أن تتخيل نفسك واحدًا من هؤلاء، فما أكثرهم من أثرياء انتحروا، بعدما فقدوا ثرواتهم الطائلة، جراء هزيمة فادحة في معركة بورصة مثلًا، لعدم قدرتهم على العيش في مستوى أقل مما كانوا عليه. أما هذا الفقير المنقرض مُقدمًا - ألف رحمة ونور عليه - فيمكنه أن يعيش، ولما لا...فحاجته للثرى المتمثلة في ملاليم، أقل بكثير من حاجة الثرى له. فالفقير بطبيعة الحال تَعوّد على فقره، حتى أدمنه.

في النهاية..وبعد أن انتهينا من رحلة تخلينا لما سيكون ما يجب أن يقال "بأن العيب ليس فقط في هذه السياسية المتبعة من قبل النظام البائد الفاسد، سياسة الإهمال أو (التطنيش)،كما وصفتها من قبل، وإنما أيضًا في هذه النظرة.. نظرة العبودية، تلك التي يتعامل بها الكبار مع من هم دونهم، رغم تحريم جميع الأديان السماوية، والمعتقدات الدنيوية لها. فالفجوة التي أحدثتها هذه النظرة بين الكبار ومن هم دونهم أصبحت تزداد يومًا تلو الآخر، حتى أوشكنا على النهاية، متجاهلين أن الله عز وجل قد خلق هذه الدنيا طبقات، ولكل طبقة مستوى معين، تشغله شريحة معينة من الناس، وأنه دعانا بأن نكمّل بعضنا بعضًا، حتى يتحقق هذا المستوى المتزن من التكافؤ، وتسير مركب الحياة بسلام. فلا فرق بين خلق الله لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالله خلق آدم من تراب وجميعنا- نحن بنو البشر- من آدم، معدننا واحد. وعندما يعيدنا الله، يوم الحشر العظيم، سيعيدنا من التراب، تاركين وراءنا هذه القصور الفخمة، والثروات الطائلة، والأموال التي لا حصر لها ولا عدد...خيط ضعيف جدًا يربط بين الحياة والموت، لذا علينا أن يعيد كل منا حساباته، قبل فوات الأوان، لكي تسير مركب الحياة بأمان.)

هذه الفقرة التي وضعتها بين القوسين مأخوذة بالنص من روايتي الأولى (غلطة)، والتي لم تحظ بنصيبها في النشر بعد، لهذه الأسباب، التي ذكرتها من قبل في مقدمتي الأولى.

فـ (غلطة)، تناولت حياة أسرة فقيرة، قاد فقرها ربّها للتمرد على حاله، بعدما تعرض للإهانة والتسفيه من قبل أحد الكبار، ليحدث في النهاية مالا يحمد عقباه، لذا كتبت قصيدة (الكبير والفقير)، لأعطى بها مضمونًا لأحداث الرواية، على لسان أحد أبطالها (ربّ الأسرة).

بعت حالى ومالى
وعيل من عيالى
عشان أعيش وأهنى
أتارى الدنيا دى نار
وأنا كنت فاكرها جنة

لعبت بيا الأيام
مابقتش بشوف قدام
مش شايف أى حقيقة
بقينا عايشين في سويقة
نتهان فيها ونتذل
وخلاص مبقاش في حل

عماله بتجيب وتودى
وبقول هيجى يوم وهدى
كان أملى فيها كبير
كنت عايشها بضمير
وآدى نهاية الضمير

بقيت ولا الحمير
بتساق وأقول حاضر
وفضلت عايش وصابر

لكن خلاص ملّيت
فاض بيا واستكفيت
كان لازم أقول لأ
لأنى صاحب حق

الفقر خلاص دمرنى
وللحمى ودمى خسرنى
جايين تلمونى ليه؟!
هو أنا بإيديا إيه؟!

كان نفسى أعيشها كبير
وأنسى في يوم إنى فقير
مش عيب والله في الفقر
إنما مـــ الذل وقطم الضهر

اشمعنا الكبار عايشين
ولغيرهم مش شايفين
وبغيرهم مش حاسين
هو إحنا بقينا حثالة؟!
وللا أصلًا مش بنى آدمين؟!

كان حلمى أربى عيالى
كنت عايش راضى بحالى
لحد ما جالى الكبير

قالى محتاجلك يا فقير
قلتله حاضر معاليك
قالى حياتك في إيديك

قلتله مش فاهم حاجه..!
قالى وبكل سذاجة

بيعلى عيل من عيالك
وآدى فلوس هتغير حالك
بلاش ترفض...ده رزق جالك
ربّى بيه باقى عيالك
وواحد مش هيفرق كتير
ده بالعكس هيعمل تغيير
أبسط حاجه هيوسع مكان
لغيره ينام في أمان

هيخف الحمل عليك
وبكره هتشوف بعنيك
والفرصة أهي بين إيديك

خدت مهلة للتفكير
وبعد رحلة صراع طويل

عيشتها مع الضمير
وبعد تهديد كتير
وكلام كان ليه تأثير

خضعت للكبير
ووافقت وقلت حاضر
من غير قواضى ومحاضر

سلمت ضنايا بإيدى
وافتكرت إن ده يوم عيدى

ودى كانت النهاية
وبداية الحكاية...!

والسؤال....؟

إلى أى مدى سيظل الفقر يجبر صاحبه على ارتكاب أشياء يندم عليها فيما بعد؟

هل سيجبره على السرقة؟!

أم على الانتحار؟!

أم على القتل؟!

أم على المتاجرة بلحم أولاده في مقابل ثمن بخس؟!

من الجاني الذي لابد من معاقبته؟

هل النظام الساقط، الذي أصيب بعفن في إدارته، أدى لضياع حقوق الملايين، ونهبها بلا أدنى وجه حق؟!

أم نحن البشر أنفسنا من يستحقون اللوم، على تقصيرهم في حق دينهم، وأنفسهم، وذويهم؟!

أترك لك أيها القارئ وضع إجابات ترضيك عن كل هذه التساؤلات.

ابن الوز عوام وأهو اللى نعرفه أحسن من اللى ما
نعرفوش...أهم حاجه الحكومة ترخص قرش الحشيش عشان لما
الشعب كله يبقى مساطيل...هييجى يقوم ننام ونقوم نلاقى
جيمى بقى رئيس وساعتها هنقول:

" معلش...حصل خير "

التوريث



التوريث.. مصطلح فرض نفسه، وبقوة، على المسرح السياسي المصري في السنوات الخمس الأخيرة من حكم مبارك، بالتحديد منذ أن انتخب رئيسًا لمصر لفترة رئاسية خامسة في الانتخابات، التي أجريت عام ٢٠٠٥م،كما تردد على ألسنة الكثيرِين من المصريين، سواء العارفين بالسياسة، أو ممن يدعون معرفتهم بها، أو حتى الجاهلين بها. فقد بات سؤال يشغل بال الجميع، منذ ذلك التاريخ.. هل سيورث الرئيس مبارك الحكم لنجله الأصغر جمال أم لا...؟؟

في الوقت الحالي، لا أجد منا قادرًا على الإجابة عن سؤال طالما شغل بالنا جميعًا، رغم إن هناك مؤشرات تؤكد بأن السيناريو السياسي، المتبع هذه الأيام، يمهد لتولى جمال مبارك رئاسة مصر، خلفًا لأبيه. فنجم الابن لمع في سماء الحياة السياسة بصورة براقة مروعة، أصبحت أكثر بريقًا وترويعًا بعد نسبة الـ٩٩,٩٪، التي أحرزها الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم في الانتخابات البرلمانية التى أجريت هذا العام.

منذ زمن والأقاويل حول قضية التوريث تتردد وتنتشر، ولكن أن تصل هذه الأقاويل لأن من يحكم مصر هو جمال مبارك، متخفيًا في ستار أبيه، فهذا ما لا يُصدق باعتبار أن الرئيس المصرى حسنى مبارك قد نفي سابقًا كل الأقاويل التي

ترددت حول قضية التوريث، وأكد أنه لا صحة لنيته في توريث حكم البلاد لابنه جمال.

بحور من الحيرة نبدو فيها كغرقى، متعلقين _كما يقال_ (بقشة) أوشكت على التفتت، أوشكت على التفتت، لتغرقنا جميعًا. نعم كل الأحداث الجارية تدل على مدى نفاق الأب الرئيس، وتؤكد بأن نجله الأصغر هو من سيجلس من بعده على الكرسي، حيث إن هناك مكيدة ما يُدبر لها، لنقل السلطة للابن تحت أى مسمى آخر، بعيدًا عن مصطلح التوريث. لعل أقرب هذه الطرق، التي اتُبعت لتنفيذها - أقصد المكيدة -هذه النسبة، التي اكتسح بها الحزب الحاكم عدد مقاعد البرلمان، والتي بدورها ستغلق جميع الأبواب أمام قوى المعارضة، وبالتالي لن يُترك مجال لأي منها، لإبداء اعتراضها، أو على الأقل امتعاضها، في حالة إذا ما ترشح الابن لانتخابات الرئاسة المقبلة ٢٠١١م، والتي يضمن فيها نجاحه بنسبة ١٠٠%. وبعد ذلك لن يوجد أي مانع في حل مجلس الشعب المزور لإرضاء الشعب المُستاء، وبنهاية السيناريو ها هي السلطة قد نُقلت لجمال في غمضة عين، بعيدًا عن مصطلح التوريث ظاهريًا، مع أن هذا توريث بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ.

الآن.. يداعب ذاكرتي حوار قرأته للأديب العالمي علاء الأسواني، على إحدى صفحات جريدة صوت الأمة الإلكترونية، دار حول قضية التوريث، ورأيه في السيناريو المتبع

هذه الأيام، والذي يبشر بجمال رئيسًا لا محالة. حيث أكد الأديب الأسوانى بأن الأمور ستسرى بصورة طبيعية، فستجرى انتخابات، وسيترشح جمال، ويقوم الجهاز الحكومى بحشد (الناس الغلابة)، ممن يتقاضون الخمسين جنيهًا، في الأتوبيسات، وسينتهى الموضوع بفوز جمال بـــــ ٧٠% أو أكثر، كما أكد الأسوانى، عندما سئل عن نسبة نجاح هذا السيناريو على أن التاريخ علمنا بأن التوقعات بالنسبة للمصريين لا تكون نهائية، لأن فيهم شيء غريب. فكل الكوارث التي شهدها مصر في العصر الحديث خالفت التوقعات، بينما أجاب عندما سئل عن تغير الأمر بالنسبة للتوريث في عدم وجود الأب، بأن الأمر سيصبح أكثر صعوبة في حالة عدم وجوده، بالإضافة لأن مصلحة كبار رجال الأعمال الأثرياء، ممن يحكمون البلد، في توريث جمال مبارك، قد تفوق جمال نفسه، حيث إن انحيازهم لفكرة التوريث، يعنى حماية لثرواتهم التي تفوق ثروات الملوك، وبالتالي فهم - على حد وصفه – يضغطون، بمنتهى الشراسة، بالدفع بالوريث إلى الحكم، حماية لأنفسهم.

أسئلة كثيرة تتعلق بقضية التوريث أجاب عنها الأسوانى ببراعة وتفاؤل ملفت للنظر، بالرغم من إن الإجابات الطبيعية، والمتوقعة بالنسبة لموضوع كهذا، كان لابد وألا تعرف للتفاؤل

طريق. لعل أبرزها، عندما أجاب عن سبب عدم تحرك الشعب المصرى، ونزوله للشارع في ثورة قائلًا:

" إنه يرى عدم نزول الشعب من أجل الثورة نوعًا من الحكمة، فالشعب سيتحرك عندما يتأكد من أن هذا التحرك سيأتي بنتيجة."

ليبقى – بين مؤيد للتوريث ومعارض له – نفس السؤال.. هل سيورث الرئيس مبارك السلطة لنجله الأصغر جمال أم لا...؟!! بلا إجابة.

شغلتنى قضية التوريث كما شغلت أي مواطن مصري، وأفزعتني كثيرًا. انتظرت حتى عبر الجميع عن آرائهم، وكلى آذان صاغية..والآن أتى دوري للتعبير عن رأيي بأسلوبي الخاص...

مسكت قلمى وقلت أكتب

لقيتنى بفكر في التوريث

قلت أبدأ أعرف نفسى

أحسن يتقال عن كلامى...

هجيص

باختصار...

أنا مش شاب سيس

ولا حتى بحب التهييس
أنا بس شاغل بالى موضوع التوريث

وحابب أسأل سادة الرئيس
هى البلد دى ملك مين؟؟!!
عشان تورثها شمال ويمين

خُدنى على أد عقلى وجاوبنى
يمكن كلام معاليك يعجبنى
وماتكونش الإجابة اللى فـــ بالى
وتقولى دى ملكى وملك عيالى
ياريتنى كنت ابنك يا ريس
عالأقل كان اتغير حالى

ما خلاص مافيش غيرى وريث
ومن النهارده هبقى أنا العريس

هقعد في الكوشة وأمدد رجليا
ومن حواليا إخواتى الحرامية

يفرحولى وأهو برده يساعدونى
وبتقارير وهميه يمدونى
وبأعلى صوتهم يقولولى
الكل بيدعيلك يا عريس
تزَف وتدخل وتِهيص

وأهو منصب جالى من فراغ
لا انتخابات ولا وجع دماغ

ولا تعديل دستور ومواد
ووعود خلاص فاقت الحد

على فكره...أنا بس بقول
يمكن يكون كلامى معقول
وممكن يكون مش مقبول
أو وجهة نظر واحد مسطول

المهم...إنى عمرى ما أطول

أوصل لمنصب السيادة
لأن اللى زيي نسيوا السعادة

وحتى لو طُولت وعرضوه عليا
هرفض..وأرضى بالمقسوم ليا

بدل ما أشيل هم ملايين
وأتحمل ذنب مخالفة يمين
وأرجع في عهود وألغى في قرارات
ويتقال فيا ياما نكات
وأكيد مش هسلم من الدعوات

أصل الغلبان مالوش غير لسان
يتريق بيه بنفسية جبان
ويدعى ويستخبى ورا الحيطان
عمره يا عينى ما حس بأمان

والله أنا مش بوجه اللوم
وأكيد كلامى كله مفهوم

أنا بس خايف ليجى اليوم
اللى أبقى فيه من غير هدوم
وأعيش عريان وكلى هموم

ساعتها هقول يا حيطه دارينى

أو ألجأ لحد تانى يغطينى

أصل اللى حاكمنى...

خلاص نسينى

في النهاية.. ليس بوسعنا أن نفعل شيئا، سوى أن ننتظر إجابة الأيام لنعرف.. هل سينجح سيناريو التوريث في مصر..؟! أم أن هناك شيء آخر، سيشهده الجميع، يخالف كالعادة توقعات المصريين، كما قالها الأديب الأسواني..؟!.

جرى إيه يا مان؟! لحد امتى هنفضل نشيّل الليلة للزمان؟!

ما كفايه بقى

قال على رأى اللى قال

"نعيب زماننا والعيب فينا ولا لزماننا عيب سوانا"

الزمان



أحاول كل يوم أن أكذب إحساسى بقرب النهاية، ولكن يأتى تأملى لواقعنا المريض، ليؤكد لى صدق إحساسى، ويثبت لى خيبة أملى. فما من لحظة أتأمل فيها حال أمتنا اليوم، وأقارن بين ما كانت عليه، وما أصبحت عليه الآن، إلا وأجد أننا بالفعل في طريقنا نحو الهاوية، وذلك لأسباب عدة، أرى أن أهمها هو تمادينا في الابتعاد عن شرع الله، ونهج رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، حتى أصبحنا في ذيل القائمة البشرية.

ما أشد غدرك أيها الزمان، يا من أخرتنا أميالًا، بعدما كنا قادة للأجيال.. يا من وضعتنا في مؤخرة القافلة، بعدما كنا على رأسها.. آه يا زمن مكنت الرعاه من السادة، وملكت الحفاة العباد، ويله كل الويل من أعطاك الثقة في مقابل الأمان، وجهل حقيقة غدرك.

دق جرس الإنذار، وأوشكنا على النهاية. الكل في مكانه ثابت بلا حركة.. أبدان شُلت عقولها قبل أعضائها، فلا فكر، ولا حركة، إنما عجز فقط.. أيتها الإرادة أين أنتِ؟! هل سلبوك مثلما سلبوا منا كل غالٍ؟! هل أصبحتِ أسيرة في سجونهم..؟! هل أنزلوكِ ضيفة على الحرية في زنزانتها..؟!

لو حدث ذلك، فأنا أهنئك أيتها الإرادة بحسن الرفقة، وأتمنى لك إقامة أسر سعيدة، مع رفيقتك المسلوبة في بلاد هذه

المرأة الصماء، الواقفة دائمًا، دون ملل من وقفتها، تلك التي يسمونها بتمثال الحرية، بشعلتها المتجمدة لا المتوهجة...أحمق أنت يا من وصفوك بالبارع لنحتها، فالحرية بريئة منك، وممن وصفوك بالبراعة، ومن هذه المرأة التي لفتت إليها أنظار العالم ببريقها الزائف.. حقًا لا أعرف أين البراعة في صخرة نحتها أنت بيدك على هيئة امرأة، بربك قل لى ماذا أضافت هذه الصخرة للعالم...؟!! هل أعادت لمن فُقدت منهم الحرية حريتهم؟ هل داوت جروح واحد ممن تعرضوا للإهانة والذل؟ هل حررت شعوبًا اغتُصبت ديارها، ونُهبت خيراتها، ودُنست بالأقدام حضارتها؟

قطعًا وبكل ثقة، أو حتى غرور، ستكون الإجابة لا. وها أنا أراك.. يا من وصفوك بالبارع، عاجزًا عن أن تنطق بالحق، مع إننى ظننتك تملك من الحجج ما يمكنك من الدفاع عن نفسك...في الحقيقة أنت بارد لا بارع.

حقًا...

لا تأسفن على غدر الزمان
لطالما رقصت على جثث الأسود كلاب

لا تحسبن برقصها تعلو على أسيادها
تبقى الأسود أسود وتبقى الكلاب كلاب

تبقى الأسود مخيفة في أسرها
حتى وأن نبحت عليها الكلاب

تموت الأسد في الغابات جوعًا
ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينام على حرير
وذو نسب مفارشه التراب

أربع فقرات ذكرهم، من بينهم فِقرة شعرية لى منهم كتابة، ورأى اثنتين -الأولى والثالثة- أوضح فيهما مأساة تذكرى لحال أمتنا في القدم، وما أشعر به من ضيق عندما أقارنه بحالها اليوم. فيا أسفي على أنفسنا، نحن من أضعنا هيبتنا وكرامتنا وحريتنا، وفرطنا فيهم بلا ثمن، تاركين اللجام للحفاة، ليتحكموا فينا، ويستعبدونا، حتى أصبحنا في ذيل القافلة البشرية، بعدما كنا على رأسها.

أما عن الفقرة الثانية، فتنسب لى فقط في كتابتها، أما عن مضمونها، فهو لا يتفق مع آرائى إطلاقًا، وإنما نقلت من خلالها مبررات فئة معينة من الناس، يلقون باللوم على الزمان،

ويحملونه سبب تأخرنا وجهلنا، واصفين إياه بالغدر، ولا يلقون في ذلك على أنفسهم ذرة لوم. فهؤلاء نسوا شرع الله، لـــذلك لا يجدون حرجًا ولا مانعًا في سب الدهر (الزمان)، متجـــاهلين قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليهم وسلم " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خمسة أبيات أوردتهم في نهاية حديثى عن الزمان، لأُلم بهم ما تضمنته الفقرات الثلاثة، وبالأخص الثلاثة أبيات الأولى، الـــتي تتفق مع مضمون الفقرة الثانية في سبهما للزمـــان، ووصـــفه بالغدر، لدرجة تُشعر القارئ بأنه لا جدوى من ذكرهم، فليس هناك جديد يذكر، إلا إننى أرى أن هذه الأبيات -المـــشكوك في هويتها- قد أكدت المعنى بعمق معانيها، والربط بـــين مـــا تضمنته الفقرات من تدهور حال الأمة، وسيادة العبيد لها، وما أكدت عليه الأبيات بعرض صراع الأُسد مع الزمان، حتى غدر بهم، ومكن الكلاب من سيادتهم في النهاية.

يذكر أن الثلاثة أبيات الأولى دار حول قائلهم جدلًا واسعًا، إلا إن أغلب الآراء رجحت نسبهم لصدام حسين، حيث تلفظ بهم أثناء محاكمته، كما عُثر عليهم في أوراقه الخاصة بعد إعدامه. أما عن البيتين الأخيرين، فهما للإمام الشافعى، يتحسر فيهما على هيبة السادة، التي ضاعت نتيجة جهلنا وخيبتنا،

وإلقائنا باللوم على الزمان، فحقًا قول الشافعى " نعيب زماننا والعيب فينا ولا لزماننا عيب سوانا".

لهذا قررت أنا الآخر أن أكتب معبرًا عن رأيي فيمن يحملون الزمان ضعفهم وخيبتهم، ساخرًا منهم، وممن استعبدوهم.......

غلطان غلطان يا زمان

اللى يديك الثقه

ويستنى منك الأمان

ويعيش عشمان فيك

عشم إبليس في الجنان

غدار غدار يا زمان

مالكش عزيز ولا لك غالى

والواطى

عندك ممكن تخليه عالى

والعالى

ممكن تقلبها عليه

وتدفعه ضريبة اللى كان فيه

وبجهله ضيعه من إيديه

كنا سادة وخليتنا عبيد
لشوية كلاب طالعين جديد
بيتحكموا فينا من بعيد

سياسة خبيثة بمعادله موزونة
خربوا بيها بيت أبونا
ولشرفنا وعرضنا بيعونا
وفي مزاد علنى خلعونا
وفي بيوتنا سجنونا
وعلى سرايرنا نيمونا
وطلبوا منّا يكيفونا
ولما رفضنا عذبونا
بس في الآخر ظبطونا

والغريب إننا راضيين
وبكل اللى حصل فرحانين
ما إحنا بقينا متكيفين
بعد ما كنا معلمين

آه لو كنت قليل الأدب
أنا كنت قلت بقينا...وحشين
والله وبحلف ميت يمين
شكلى هسلم زيكم وأقول آمين

وأهو الزمان واقف يتفرج علينا
بيضحك أوى وشمتان فينا
بينادى ويقول يا ولاد اللذين

كفاياكم بقى جبتولنا العار
ده أنا الود ودى أركبكوا حمار
تدوروا بيه على كل دار
وهتفوا وتقولوا بصوت جبار
إحنا اللى اهمنا الزمان
وقلنا عليه غدار

أخدناه شماعة لينا
علقنا عليها بلاوينا
ونسينا إننا بإيدينا

موتنا الضمير فينا

وأعلنا راية الاستسلام
ورمينا الحمل عـــ الأيام
فاكرين كله هيبقى تمام

ولأن اللى تعب مش زى اللى نام
رجعنا لورا وغيرنا طلع قدام
يبقى ليه بنلوم الزمان؟!!



تعرف تتكلم عربى
وتعيش الوهم العربى
وتشوف فيلم أبو العربى

يبقى أنت أكيد العربى
العربـــــــــــــــــى

العروبة

في الحقيقة لا أعرف من أين أبدأ كلامى عن العروبة، أو بمعنى أقرب للصحة، لا أجد ما أقوله عنها، لأنها لا تمثل لى أي معنى، سوى إننى عربى، نسبًا للعرب، بأراضيهم وضادهم، وثقافتهم. فالعروبة ظلّت بالنسبة لي صفة كغيرها من صفات كثيرة اتصفت بها و لم تزد عن ذلك إطلاقًا، حتى جاء يوم كُشف لى فيه عن جهلى صدفة.. لذا صحيح القول يُحتم عليّ الآن أن أفصح عن بشاعة جهلى هذا..وأقول:

"حتى الآن أنا لا أعلم...هل أنا عربى أم عروبى؟!!...باختصار أنا فهمت غلط..!!!"

لأن عربى تختلف كل الاختلاف عن عروبى، فليس كل إنسان عربى هو عروبى، فالعروبى هو من يجمع بين لغة الثقافة العربية، ومضمونها الحضارى، وبين التسليم لكيان عربى واحد، قائم على أوطان متعددة. وهنا لا تناقض بين معنى العربى والعروبى، فالوحدة العربية معناها أشمل وأعم من معنى العروبة، التي تعتبر جزءً منها. فالعروبة دعوة فكرية أكثر من كونها دعوة سياسية، من أجل خلق كيان عربى موحد على أرض واحدة.

وجهة نظر تحترم أيا كانت، نستنبط منها بأن الكيان العربى الواحد، الذي من شأنه تحقيق العروبة، يتطلب قادة غير هؤلاء الخونة، الذين يحكموننا هذه الأيام باسم العروبة، متغنين بشعارات زائفة، فسياسيتهم، سياسة التحالف مع الأعداء لن

تحقق الوحدة العربية، وبالتالى لن تتحقق العروبة، التي هى جزءاً منها. فجميعهم وبلا استثناء عشاق سلطة ونفوذ لحد يفقدنا جميعًا الأمل في الاتحاد العربي، لذا لا يلام أحد منا عندما يرفض كونه عربي، أو عروبى لأن هذه الصفات أصبحت بلا معنى. وبما إننى كنت، وما زلت- بالرغم مما كتبته عن العروبة- أفتقد إحساسى بها، كتبت هذه الأبيات ندمًا على ضياعها....

آه يا عينى عـــ العروبة

اللى بقت سلعة أسعارها مضروبة
خسفوا بيها الأرض عشان يعملوا سبوبة
يكسبوا من ورا رخصها حلفا
بحجة رفع أسعار السلعة المنهوبة

آه يا عينى عـــ العروبة

زى ما تكون واحده حره حريتها مسلوبة
أو سجينه على أمرها مغلوبة
أو حبيب اتعمت عينه

من كتر بكاه على رحيل المحبوبة

آه يا عينى عـــ العروبة

اللى بقت زى ميّه مكبوبة
على شوية رمله مجلوبة
من صحرا خاليه
مافيهاش ولا طوبه

آه يا عينى عـــ العروبة

اللى بقى تحقيقها من الأحلام المنشودة
زى اللى بيحلم بالحكم في قضيه موجودة
بقالها سنين في محكمه مهدودة

آه يا عينى عـــ العروبة

اللى بقت زى كتلة تلج
في منطقه شديدة البرودة

آه يا عينى عـــ العروبة

اللى بقت زى بومه موهومة
واقفة طول الليل تصطاد
مع إن آمالها في الصيد معدومة
أصلها يا حرام عينيها مخرومة

آه يا عينى عـــ العروبة

اللى بقت غنوه بتتغنى
على ألحان ناس موهوبة
اتعملت على أشعار ياما مكتوبة

آه يا عينى عـــ العروبة

اللى ضاعت بسسب شوية مسئولين
عقولهم بجد مضروبة

آه يا عيني عــ العروبة

اللى خلاص بقت واحده يائسة
أعصابها مشدودة
شايله كفنها في انتظار
ساعتها الموعودة

آه يا حسره عليها يا حسره عليها
جايه وكفنها على إيدها
بعد ما أصحابها فرطوا فيها
وقبضوا التمن واتحالفوا عليها
وبعد ده كله
عمالين بأعلى صوقم يجعجعوا
قال إيه بينادوا بيها

بجد يا عيني عليها

الغيب لا يعرف اليقين، وبما إن الكيان العربى الواحد حلم، تحققه من عدمه يعد غيبيات، إلا إنني على يقين تام بأن هذا الحلم لن يتحقق، طالما أننا يحكمنا قادة كهؤلاء الخونة، الذين يتظاهرون بكل ما يدل على ولائهم لعروبتهم، ولهذا لن أوجه سؤالى المتوقع عن احتمالية تحقيق الكيان العربى، لأننى – وبكل بساطة – أيقنت بأنه لن يتحقق.

***

ويل لمن يريد أن يعيش مرفوع الرأس في زمن انحنت فيه الرؤوس

***

تحت أمرك يا باشا أنا كلب ابن ستين كلب واللى معاليك تؤمر بيه أنا هنفذه

أمك اسمها إيه ياله؟

أمـــــ...ـــــــــــــ...ـــــــى ....أمى هى مصر يا باشا

انت هتهزر يا حيلة أمك

ههزر ليه يا باشا؟!!...والله أنا بحب مصر أكتر من أمى

ماشى يا بن الغالية وحياة أمك لهوريك

أمن دولة



في عام ١٩١٣م، كان قسم المخصوص، وفي أغسطس من عام ١٩٥٢م سمى بالمباحث العامة، ثم تحول بعد ذلك في ذروة حكم الراحل محمد أنور السادات، لمباحث أمن الدولة، ومن ثم سُمى بقطاع مباحث أمن الدولة، حتى انتهى به المطاف، حاصلًا على لقبه الشرفى جهاز أمن الدولة.

أنشيء هذا الجهاز في ظل الاحتلال الإنجليزى لمصر، لتتبع المواطنين، ومنعهم من مقاومة الاحتلال، تحت شعار الأمن السياسى. منذ اللحظة الأولى، التي أنشيء فيها هذا الجهاز، وهو يستعين بضباط البوليس كرجال له، ولم تكن لوزارة الداخلية المصرية أى سلطة عليه، حيث إن الأوامر الخاصة به كانت تصدر من الملك مباشرة. وعلى الرغم من قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م، والتي أحدثت العديد من التغيرات الجذرية، ظل قسم المخصوص يعمل بنفس آلياته المعروفة، بل تم تعديله وتوسيع نشاطاته، ليتحول بعدها لمباحث عامة، ومن ثم لمباحث أمن دولة، وقطاع مباحث، وأخيرًا لجهاز أمنى كما ذكرت سالفًا.

اشتهر جهاز مباحث أمن الدولة، الذي يعد الأقدم في تاريخ الشرق الأوسط بأكمله، بانتهاك حقوق المواطنين، ومعاملتهم بطريقة غير آدمية، لا تتفق إطلاقًا مع مبادئ الإنسانية، وذلك تحت شعار حماية الأمن المصرى، ومحاربة ما يهدده من إرهاب

وتطرف، ولكن بصورة أقل فاعلية من التي أصبح عليها، بعد خضوعه هذه الأيام لسلطة وزارة الداخلية المصرية. ولأن رجاله ليسوا كغيرهم، دائمًا ما يعينوا في مناصب رفيعة، كرئاسة وزارة الداخلية، كاللواء حبيب العادلى وزير الداخلية الحالى، وقد يصل الأمر لرئاسة الوزراء.كما يتمتع ضباط أمن الدولة بامتيازات عدة، تميزهم عن زملائهم في الشرطة، لما يتمتعون به من كفاءة في الإجرام.

تعتبر سياسة القهر، التعذيب من أجل استيفاء القضايا وتقفيلها- هذه التي يتبعها جهاز الأمن المصرى - هى الفريدة من نوعها بين الأجهزة المماثلة في بلدان العالم. فمنذ عقود طويلة مضت، وهذه السياسة الوحشية الإجرامية هى اللغة المتعامل بها مع المواطنين، بداية بالتسفيه والضرب، مرورًا بالضرب المبرح، والصعق بالكهرباء، والكى بالنار، نهاية بالاعتداء الجنسى، إما بهتك أعراض النساء المعتقلات، أو استخدام عصا خشبية، لهتك أعراض الرجال المعتقلين، وذلك بإدخالها بكل قسوة ووحشية في فتحة الشرج، وأحيانًا تُستخدم الحيوانات، كالكلاب، لإنجاز هذه المهمة، التي قد ينجزها أيضًا أحد الجنود، انصياعًا للأوامر. ولما لا يُفرط هؤلاء الضباط في وحشيتهم هذه، وقد قال لى أحد زائرى أمن الدولة، بأنه عندما لجأ إلى الله ليثبت براءته، وأقسم بعزته وجلاله، ثم بكتابة

الكريم، ما كان من ضابط أمن الدولة، الذي تولى التحقيق معه، سوى أن أمسك بالمصحف، قائلًا له:

" هو ده اللى انت بتحلف بيه...؟!! "

ثم سحب درج مكتبه، وألقى بالمصحف، ثم أغلق الدرج واستطرد:

"ياريت تنسى ربنا بقى خالص.. وتخلينا في اللى إحنا فيه"

كلام سيحاسبنى الله عليه نقلته - بصورة طبق الأصل- من على لسان أحد زائرى مباحث أمن الدولة، فأنا لا أخشى في الحق لومة لائم .

أساليب - كما وصفتها من قبل- بالوحشية، يتبعها ضباط أمن الدولة، لإجبار المعتقلين على الاعتراف، تأتى في أغلب الأحيان، أو كلها بفشل، بالرغم من وحشيتها، وذلك بسبب إصرار المعتقل على عدم الاعتراف بما هو منسوب إليه، وفي هذه الحالة يلجأ ضابط الأمن المـُحقق لإتباع أسلوب تعذيب "أرقى"، وأكثر جدوى، يبدأ بتهديد المُعتَّقل باستحلال حرمات بيته، مشيرًا لهذا بسؤال واحد يوجهه له:

"أمك اسمها إيه ياله..؟؟"

وهنا يدرك المعتقل بأنها النهاية، فلم يعد لإصراره فائدة، وللضرورة كما يقال أحكام، فالموقف يُحتم عليه الاعتراف بما لم يرتكبه، وإلا سيأمر الضابط بإحضار أمه، أو زوجته، أو

أخته، ويأمر الجنود بعزل ملابس من يقع عليها الاختيار، حتى تصبح عارية تمامًا، ومن ثم يأمر الجنود بالعبث في جسدها كيفما أرادوا، وقد يصل الأمر إلى الاعتداء على حرمات بيته أمام عينه، إذا تمادى في إنكار ما لم يرتكبه.

بنهاية المطاف، تؤدى كل هذه الأساليب الإجرامية فى أحيان كثيرة لموت المعتقل، سواء من آثار التعذيب، أو من الصدمات النفسية، التي يتعرض لها، وهنا يصبح ضابط الأمن أمام أمرين، إما أن يتخلص من الجثة، ويرفع تقرير بأن المتهم ألقى بنفسه من أحد النوافذ مثلًا، أو أن المتهم تعرض لهبوط حاد في الدورة الدموية، أو سكتة قلبية أثناء إجراء التحقيقات، أو أن يلقى بالقتيل أمام بيته، أو بالقرب من مكان سكنه، لكى يعثر عليه أهله، هؤلاء الذين يهددون فيما بعد بكافة الطرق، لكى يمتنعوا عن الإبلاغ عن الواقعة.

في الآونة الأخيرة، فاحت رائحة عفن إدارة هذا الجهاز الفاسد، وزادت تجاوزاته بصورة مرعبة، وأصبح انتهاكه لحرية المصريين - طبقًا لسلاح قانون الطوارئ - أمرًا عاديًا، حتى امتلأ ملف التجاوزات الأمنية عن آخره، وانفرد بعدد وبشاعة جرائمه، محتلًا المركز الأول، متفوقًا بجدارة على جميع ملفات التجاوزات الأمنية في العالم. ولعل جريمة مقتل الشاب خالد

سعيد، الـــمُلقب بشهيد الطوارئ، أبرز وأبشع تجاوز أمني شهده المصريون في الشهور القليلة الماضية.

لم يكن خالد سعيد إرهابيًا، ولا متطرفًا، ولا واحدًا ممن تطلبهم الشرطة، باعتبارهم مسجلين خطر، وإنما كان مواطنًا -كالكثيرين غيره- ذهب كعادته لـــ ((نت كافيه)) بأحد شوارع منطقة كليوباترا، التابعة لقسم سيدى جابر بمدينة الإسكندرية، لقضاء وقت فراغه، وبينما هو في مكانه في وقت متأخر من الليل، تعرض النت كافيه للتفتيش على يد مخبرين من رجال الأمن، قاما بتفتيشه بطريقة غير آدمية، لم يتقبلها خالد، معلنا رفضه فقط لما يحدث، بأسلوب يحمل من الاحترام الكثير، موجهًا سؤاله لهذا المخبر الذي أراد تفتيشه..

"ما الذي فعلته لكى تفتشنى بهذه الطريقة..؟!! "

وقبل أن يبدى خالد اعتراضه على هذا الأمر، سحبه أحد المخبرين، ممسكًا بملابسه، وقام بصفعه على وجهه، وما هى إلا لحظات، حتى تدخل المخبر الآخر، وانهالت الصفعات على خالد، واستقبل جسده لكمات من جميع النواحى، حتى سقط على أرضية المكان، أمام أعين زوار النت كافيه، وأصحابه الذين أصابتهم الدهشة مما رأوه، ووسط ذهول الجميع، أمسك أحد المخبرين برأس خالد، وظل يرطمها في رخامة بالكافيه، حتى اندفعت الدماء من وجهه وفمه كالسيل، وانتهى الأمر

بفقدانه الوعى، وبين محاولات توسل من الحاضرين للمخبرين بالتوقف عن ضرب خالد، قام أحدهما بسحبه لمدخل أحد العقارات المجاورة للنت كافيه، وانهال عليه ركلًا ورطمًا بالبوابة الحديدية للعقار، وبينما هو يلتقط أنفاسه الأخيرة، فإذا بهما يحملاه، ويلقونا به في سيارة الشرطة، التي انطلقت به لمكان بعيد، لتعود ثانية بعد مرور دقائق معدودة، وتلقى بجسده جثة هامدة وسط الطريق....ورحل خالد.

رحل خالد قبل أن يجيبه أحد ما ذنبه؟!..رحل قبل أن يعرف لماذا تعرض لهذا الكم من الإهانات والتجاوزات؟!..هل إبداء امتعاضه بسؤال مشروع كان سببًا وراء كل هذا؟!.. أم إن قانون الطوارئ، الذي جعل رجال الشرطة ينظرون لدونهم من البسطاء على إنهم عبيد، خلقوا كى يهينوهم، ويقضوا أوقاتًا في تعذيبهم، والتمثيل بهم، كلما أرادوا فرض سلطتهم، وطاب لهم ذلك، هو السبب وراء ما حدث؟!.. هل نسى هؤلاء أنهم في خدمة الشعب، أم أن تغيير الشعار أنساهم حقيقة الأمر؟! راح خالد ضحية هواة تعذيب، وفرض سلطة.. جنى عليه أشخاص، لا تعرف قلوبهم شفقة ولا رحمة، وكأنه- كما يقال- "كلب ولا يسوى".

بمقتل خالد، تعرض أهالى منطقة كليوباترا - التي شهدت الواقعة- لإرهاب وضغط من قبل رجال مباحث قسم سيدى

جابر، الذين انتشروا، بحثًا عمن قاموا برؤية هذه الواقعة، أو تصويرها بكاميرات الهواتف المحمولة، لتبرئة الجناة بدلًا من معاقبتهم. إلا إن أهالى المنطقة أصروا؛ بالرغم من كل هذا، على الإدلاء بأقوالهم، مما دفع مباحث سيدى جابر للاستعانة بشهود لنفي شهادة الشهود، لحماية رجالها. ولكن النيابة أمرت باستدعاء الطبيب الشرعى، بعدما كُشف الستار عن وقائع هذه الجريمة بشهادة هؤلاء الشهود، وعلى هذا قامت السلطات المصرية بإصدار بيانًا على لسان رئيس وزرائها، تعقيبًا على الحادث، في محاولة لتبرئة جهاز الشرطة المصرية، مما هو منسوب إليه، أوضح فيه:

(أن التقرير المبدئى للطب الشرعى تضمن أن الوفاة حدثت نتيجة (أسفيسكا) الخنق نتيجة انسداد القصبة الهوائية بسبب اللفافة التي ابتلعها الشاب خالد سعيد - كما ادعت النيابة - بمجرد اقتراب رجال الشرطة منه، والتي كانت تحتوى على مادة مخدرة، أدت لحدوث اختناق، أسفر عن وفاته. كما أشارت السلطات في بيانها بأن المتوفي كان مطلوبًا بتنفيذ حكمين بالحبس، صادرين في قضيتين، إحداهما سرقة، والأخرى حيازة سلاح أبيض، بالإضافة لأنه كان مطلوبًا في قضية هروب من الخدمة العسكرية، كما إنه تم ضبطه في عدة قضايا، من بينها التعرض لأنثى، ووصل الأمر لتضمين البيان جزء خاص بأقوال

والدة الشاب خالد سعيد، قيل بأنها أدلت بها أمام النيابة، بأن ابنها معتاد تعاطى المواد المخدرة. وقد انتهى البيان بتأكيده على التزام جهاز الشرطة بالقانون، ومراعاته مبادئ حقوق الإنسان).

تبعت جريمة مقتل الشاب خالد سعيد ردود أفعال كثيرة، على الصعيدين الخارجى والداخلى، من وقفات احتجاجية، وتظاهرات، لتهمد على إثرها نوبة جرائم التجاوزات، لما يقرب من خمسة شهور، ثم تندلع ثانية عقب تفجيرات كنيسة القديسين بالإسكندرية، بتجاوز أبشع، بطله الشاب الضحية سيد بلال، الذي تكرر معه نفس السيناريو المتبع ((سيناريو تقفيل القضايا)) في حالة فشل الشرطة في الحصول على الجانى، واصطياد فريسة أخرى لـــــ (تشيل الليلة) كما تكرر أيضًا نفس سيناريو ردود الأفعال، إما الداخلية المطالبة بإقالة اللواء العادلى وزير الداخلية، أو الخارجية بتدخل منظمات حقوق الإنسان، ولكن بلا أدنى فائدة، فحتى الآن لم يحدث جديد، ولا أمل في حدوثه، لأنه لا حياة لمن تنادى..

(١)

كفاية تجاوزات كفاية إهانات
الضحايا خلاص بقوا ألوفات
الرحمة يا شوية جبلّات
وللا الضمير جواكم مات

إذا كان قانون الطوارئ قواكم
فعمركوا ما هتقووا على اللى سواكم

لينا رب اسمه المنتقم الجبار
قوتكم ماتسواش جنب قوته
ولا حتى ذرة غبار

قادر يرجع حق المساكين
الضحايا الغلابة المظلومين
اللى قتلتوهم عشان تقفيل القضايا
وكل يوم جناية وجناية
والدايره بتدور وبتتكرر الحكاية

عمرنا ما هننسى خالد سعيد
ابن الإسكندرية أبو قلب حديد
كان قاعد زى غيره جوه مكان
ونزله كلبين من كلابكم
فاكرين نفسهم شجعان
مسلطهم عليه ظابط جبان

طلبوا منه يفتشوه
سألهم وكان سؤاله بـــ ليه؟
ومن غير ما يبين أى اعتراض
نزلوا تلطيش وتخبيط فيه
لكمات وشلاطيط بترف عليه

ياما نفسى بس أعرف
خالد سعيد ده ذنبه إيه؟

من كتر الضرب يا ولداه
غاب عنه وعيه ووقع..
ولا حد استلقاه

سحبوه وفضلوا يخبطوا راسه
في بوابه حديد قدام أهله وناسه

ولا حد فيهم قدر يتكلم
لأن الكل للدرس متعلم
هتتكلم هتاخد بالجذمة
وهتبقى ولا تسوى
ولا هيبقالك لازمه

الشاب خلاص روحه بتطلع
وعيون الناس عماله تدمع
وصرخات بتعلى وآهات بتوجع
والكلاب ولا حد فيهم...بيحس
ولا حد فيهم بيسمع

شالوه وعـــ العربية حملوه
وفي مكان بعيد خدوه
وبعد ربع ساعة رجعوه
ورموه في الطريق وسابوه

جثه هامدة متمثل بيها
ملامحها ضايعه ودمها مغطيها
بالذمة
مش حرام يا ناس اللى جرى فيها

حد يقولى اللى حصل ده يرضى مين
كافرة من غير لا مله ولا دين
بيقتلوا في الغلابة المساكين
يا ناس ده إحنا والله بني آدمين
ماحناش مـــ اللى بيداسوا بالرجلين

خالد راح وراح شبابه
وياريتهم صانوا غيبته في غيابه

ده بالعكس

سعادة البيه المسئول طلع يبرأ كلابه
ويمحى عنهم همة قتله

وآدى كلام جنابه

الشاب خالد مات مخنوق
والدليل تقرير الطب الشرعى
ولو فيكم حد عنده اعتراض
يتفضل يقوم ويسمعنى

لفقوله كام جريمة وقضية
ونسيوا خالص انه ضحية

مع إن الصورة فضحت خطتهم
ووضحت كدبهم وكشفت لعبتهم

الناس خلاص فاض بيها وكرهتهم
من كتر ما خبزتهم وعجنتهم
الكل خلاص عاوز يسقطهم

هنقول لمين بس الكلام
وإحنا أصلا ضحايا النظام

كل اللى نقدر عليه نقوله
إننا لينا رب
لا بتغفل عينه ولا بتنام

عفن إدارتهم رحته فاحت
ولاجل حظهم في الزحمة تاهت

لحد ما حصلت تفجيرات الكنيسة
وبدأت السنة بداية كبيسة

وزارة الداخلية مشغولة لشوشتها
حكاية الفتنه الطائفية دوشتها

عاوزين يقفلوا ملف القضية
والسيناريو مكتوب ميه ميه
مش باقى بس غير بطل التمثيلية

وأخيرًا وقع الاختيار على سيد بلال
عشان يكون المرة دى الضحية

ومع انه مالوش في الطور ولا في الطحين
قتلوه الكفرة المجرمين

وزاد ملف التجاوزات واحد
والدور عليك يا عبد الواحد

شفتوا يا ناس الداخلية المصرية
عندهم سرعة بديهة ومهارة عالية
بيعرفوا الجانى أصلًا...
قبل ما يكون في قضية

مسيرك هيجيلك يوم يا ظالم
وهنتقابل أمام الله
يوم ما تترد المظالم
والنصيب عند ربى هنلقاه
وكل حد وليه كتاب
والفاصل بنا ساعة الحساب

كفاية تجاوزات كفاية إهانات

الضحايا خلاص بقوا ألوفات
الرحمة يا شوية جِبلات
وللا الضمير جواكم مات

***

(٢)

أمن دوله وشرطة ونظام
معتقلات وسجون وأقسام
وكل حد وليه مقام

الكلب هيفضل طول عمره
كلب بنجاسته
مايحقلوش دخول الحمام

والأسد هيفضل طول عمره
أسد بهيبته
والكل تحت رجله خدام

تتكلم هتاخد على قفاك
وفي أمن الدولة تشرفنا هناك

تاخد واجبك سفالة وإهانات
وضرب وتشكيلة اعتداءات
يا سعدك يا واد يا هَنَاك
كنت داخل راجل بشنبات
طلعوك ولا أجدعها واحده
في الستات

وهى دى آخرة اللى يطول
لسانه
على أسياده البشوات

كلب ابن كلب
مهما رحت وللا جيت
بطل تدلدل لسانك
بدل ما هتاخد بالشلاليط
وفي أماكن حساسة

هتاخد بالعبيط

كلمة أنا مظلوم
انساها يابن الناس
أصل القضية
متفصله عليك من الأساس

وانت راجل وفي ذمتك حريم
فاعقل وهات من الآخر
وقول
انت تبع أى تنظيم؟

بدل ما رجالتنا يبهدلوهم
قدام عينك ويقطعهوهم

نفذ اللى بنقولك عليه
لو كنت عاوزهم يرحموهم
اشترى نفسك وعرضك
وبلاش تضيع شرفك

صدقنى مافيش قدامك حل تانى
عندنا اللى مش جانى
لازم يبقى جانى

وآدى الأسد ركب على فريسته
بعد ما عرفها قيمتها وعرفت قيمته

ولكل بداية نهاية
ولازم تنتهى الحكاية

عشان تتقفل القضايا
ومش مهم عدد الضحايا

المهم مظهر الراجل الكبير
يبقى صافي ومن غير تعكير

ده أمن دولة يا ناس مش لعبة
فهمتوا اللى فيها وللا لسه صعبه

إياكم تنسوا اللى سبق وقولته

الكلب هيفضل طول عمره
كلب بنجاسته
والأسد هيفضل طول عمره
أسد بهيبته

وسلامى لراعى الأمن في بلدنا
اللى ضيع قيمتنا ودبح ولادنا

وأحلى سلام لقانون الطوارئ
القانون بتاع الظرف الطارئ

اللى من سنين وانت فرضه علينا
لحد ما خلاص كرهناك وكرهناه وملينا

نفسى أعرف غنولك اخترناك على إيه
يا أخى ملعون أبو اليوم اللى اختاروك فيه

أسئلة كثيرة داعبت ذهني، وفشلت في العثور على إجابة لها، أو بمعنى أقرب للصحة، تظاهرت بفشلي في العثور على إجاباتها، لسبب يعلمه الجميع، لذا سأطرحها على أمل أن يجيب عنها أحد..

- إلى متى سيظل جهاز مباحث أمن الدولة مؤسسة قهر ووحشية وإجرام واعتداء جنسي؟

- هل سيأتي اليوم الذي ترد فيه كرامة المصري أم أنه كتب عليه أن يبقى ضحية لأبد الدهر؟

- هل سنتنفس يومًا ما هواء الحرية أم سنظل في حالة طوارئ إلى ما شاء الله؟

- أين ضمائر رجال الأمن..؟!..لماذا غابت لهذا الحد..؟!..ومن المسئول عن كل هذا..؟!..ولمصلحة من؟!.

أعلم أيها القارئ أنك قد تعثر على إجابة لبعض من هذه الأسئلة، أو كلها، ولكنك لن تجرؤ على أن تجهر بها، وستكتفي في النهاية بإعلانك الفشل - مثلي- في العثور على إجابة، وهذا أفضل بكثير من زيارة لأمن الدولة، قد تفقد عندها كرامتك أولًا، ثم عرضك وشرفك ثانيًا، ثم شرف وعرض حرمات بيتك ثالثًا، وأخيرًا وليس آخرًا قد تفقد حياتك.

لما تسيب الفرصة للنار تنتشر في النسيج الواحد

قول بعدها

" يا رحمن يا رحيم "

والدوام لله وحده وكلنا لها

يالا قولوا معايا

يحيا الهلال مع الصليب

إحنا واحد

في صباح السبت الأول من يناير عام ٢٠١١م، وقع تفجير استهدف كنيسة القديسين: مار مرقص الرسول، والبابا بطرس خاتم الشهداء، بمنطقة سيدى بشر بالإسكندرية، وبدون التدخل في تفاصيل هذا الحادث، سأذكر على الفور الموقف الذي دفعنى لكتابة ((إحنا واحد))...

مر الآن خمسة أيام على التفجير، الذي استهدف كنيسة القديسين، وكأغلب المسلمين أشعر باستياء شديد مما حدث، وبداخلى حزن لا يوصف على هذه الأرواح، التي ضاعت بلا ذنب، جراء هذا الحادث. وكعادتنا في السراء والضراء، خطر ببالى، منذ ساعات قليلة مضت، الاتصال بعماد، أحد أصدقائى المقربين. كنت حريص أشد الحرص بألا أتعمق معه في الحديث عن هذا الموضوع، فقط حاولت أن أواسيه، بالرغم من أن هناك ضحايا من الطرفين، والفاعل ما زال مجهولا، ولكن قادتنا ظروف المكالمة للتعمق في الحديث، ومن ثم ابتعدت السلاسة عن أسلوب الحوار، حتى غابت نهائيًا عنه، وبدأ الحوار يتأزم ويتأزم، حتى بلغ حد السخرية، وإذا به عماد يقول:

" زمان عملوا فيلم سموه حسن ومرقص وكوهين واليومين دول عملوا فيلم سموه حسن ومرقص بس،يا خوفي لا الأيام الجايه يعملوا فيلم ويسموه حسن بس ويبقى مصير مرقص هو نفس مصير كوهين".

لم أستطع وقتها إبداء أي تعليقات، وبادرت بغلق المكالمة، فقد حزنت حزنًا شديدًا لما قاله، وأصابني شعور بالحسرة، دفعني - بجانب غيرتي الشديدة على تعاليم ديني الإسلامي- والتي تنهاني عن فعل أي شيء من هذا القبيل، لكتابة (إحنا واحد)، لتكون ردًا لاذعًا على مقولة عماد الساخرة، لعله يندم على ما بدر منه..

طول عمرها الكنيسة جنب الجامع
ولا عمره كان في مانع

جرس وأدان في كل مكان
بينادوا بصوتهم على حبايب الرحمن

إنجيل وقرآن واختلاف أديان
وفي النهاية كلنا إنسان

على أرض واحده من زمن عايشين
وتحت سما واحده من صغرنا ماشين

قمرها منور طريقنا سنين

وترابها عارّفنا معنى الحنين

يا مسيحى انت أخويا وصاحبى وجارى
وطول عمر دارك هيا دارى

لو نزفت بتتبرعلى بدمك
وطول عمرى بشيل عنك همك

صدقنى إحنا واحد
وعشان خاطرى لازم نجاهد

مانديش فرصه لحد غيرنا
يدّخل في أمورنا ويوقع ما بينا

صدقنى إحنا واحد

أنا وأنت وهو وهى
من الطين صورنا المولى

أنا وأنت وهو وهى
أبونا آدم وأمنا حوا

أنا وأنت وهو وهى
مستحيل في يوم تفرقنا قوه

مهما كانت معتقداتى
أو كانت معتقداتك

في النهاية إحنا واحد
وحياتى هى حياتك

سلامتك من سلامتى
وتعبك يقل راحتى

وآهاتك تقلق منامى
ده أنا ممكن أضحى بعمرى
ولا أشوفك لحظه بتعانى

لو أنت جرجس أو أنت محمد
لو أنت بولا أو أنت أحمد

في النهاية إحنا واحد
وعلى أرض مصرنا دايمًا بنسعد

لا تفجير كنيسة ولا حتى قطر
ممكن يقضى على عشره من قديم الدهر

أنا دينى وصانى عليك
وأمرنى أعاملك بالحسنى

صدقنى عمرى ما أضرك
لأنى من حسن معاملتك هكسب حسنه

فكر بعقلك هتلاقي إننا
مهما رحنا وللا جينا
مالناش غير بعضنا

عيسى نبي ومحمد نبي
والاتنين نباهم رب واحد

وفي النهاية العمر واحد والرب واحد
وأنا وأنت والله واحد

وأخيرًا لم ولن أجد رد أقوى من كلام الله عز وجل، وسنة نبيه المصطفي صلى الله عليه وسلم، حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:
" لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "........ {الممتحنة:٨}

كما قال صلى الله عليه وسلم في حرمة دماء الذميين:
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
" مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا "
رواه البخاري.. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لما يؤون الأوان...ويروح الخوف عن الجبان
وربنا يهدّى سر كل حيران
ممكن ساعتها
نصحى الضمير اللى جوانا
ونخليه يبان
فنقوم وندور عالجعان والعطشان والصقعان والغلبان
والعريان
باختصار
هيجى اليوم ونفوق
بس
لما كل واحد فينا يفهم إن ربنا خلقه في الدنيا دى
إنسان
ومش
حيوان

لحد إمتى؟!

لم تكن على صورها هذه عندما كتبتها، وإنما كان لأحداث الثورة التونسية الفضل في إضافة المقطع الأخير منها، حيث إنها تعد الرابعة من ناحية الترتيب الزمنى لما كتبته من قصائد، منذ بدايتي مع الشعر. بدأتها بسؤال كثيرًا ما سألته لنفسي "لحد إمتى..؟!" على أمل أن تجيبنى عنه الأيام، باعتباره سؤال عن فترة زمنية، يصحو فيها النائم من غفلته، مع العلم بأنني لم أقصد بسؤالى هذا فئة معينة، وإنما وجهته لجموع الشعب المصرى، الذي أصبح مغيبًا،غافلًا،فاقدًا للوعى، أو بمعنى أقرب للصحة أصبح يدعى مثل هذه الأمور، فلم يعد بوسعه شيء يفعله، من أجل إيقاف سيل الفساد، الذي جرف خيره، ودمر إرادته، فالقادرون على مواجهه هذا السيل، في وقتنا هذا، يعدوا على أصابع اليد الواحدة.

موجة من الفقر، والبطالة، والظلم، والاستبداد، والقمع..إلخ اجتاحت المجتمع المصرى بصورة مرعبة، أجبرت المواطن المصرى على التكيف مع شتى أشكال الفساد، في محاولة للتعايش، لا للتغلب.. يأس قاتل سيطر على النفوس، وغيم سماءها، حاجبًا عنها ضوء الأمل. أغُلقت أبواب السماوات، و لم يعد هناك ولو رؤية لغد أفضل. كل ما يهم الآن هو انقضاء اليوم على خير، بلا أية كوارث، فلا أحد يتذكر الماضى، حتى لا يُحبط، ولا منّا من يفكر في مستقبله، حتى لا يدفع عمره ثمنًا

لما سيجتاح نفسه من سواد. بلد سُلب من أهله - منذ سنين - من قبل حاشية فاسدة، يقودها ديكتاتور؛ فكيف لنا أن نفكر في مستقبل؟!!.

أتت عليّ لحظة لم أستطع فيها تذكر الماضى، وفي نفس اللحظة لم أقدر على أن أخطو بخيالى، ولو خطوة في طريق التفكير في المستقبل. فقط كل ما فعلته أنني أمسكت بقلمي، وأعطيت نفسي مساحة من الجرأة، وبدأت أكتب مستهلًا قصيدتي بـــــ (لحد إمتى...؟!). أخذت مني هذه القصيدة من الوقت ما أخذت، ومن ثم تركتها بين صفحات أعلم أنها سيأتي عليها يوم وتُلقى، كما ذكرت سالفًا، في مزبلة كل من خاف سلم.

لم يكتمل مرور الشهر على ما كتبته، إلا وعلمت باندلا ع الثورة التونسية، وإطاحتها بالديكتاتور بن على. انتابتنى وقتها فرحة عارمة، لأن الأيام لم تطل إجابتها عن هذا السؤال، فها هى، ولأول مرة، تجيبنا، وفي زمن قياسى، على الرغم من إننى لم أقصد بسؤالى الشعب التونسى، ولكنى أعطيت لأنانيتى مساحة، لأشعر بأن ثورة تونس ما هى إلا إجابة لى من الأيام، على سؤالى الذي طرحته. لهذا قررت التوسل إلى الله، بإضافة دعائى الأخير إلى القصيدة، ومن هنا كان فضل الثورة التونسية.

دعوت الله أن يكرمنا بثورة تونسية، تطيح بالديكتاتور مبارك، وأنا أعلم كل العلم بأن حال دعائى، مثله مثل حال سؤالى، لن يسمعه سوى ربى، ولكن عندما جاءتنى إجابة الشعب التونسى على سؤالى، بالرغم من إنهم لم يسمعوه على الإطلاق، أصبح لدى أمل في أن يستجيب الله لدعائى، ويطهرنا ممن أضاعونا، فهو القادر على كل شيء، والعالم بما يخفيه الدهر، فمن يعلم..؟! قد تصدق نبوءة الأديب الأسوانى، ويتحرك الشعب في الوقت الذي سيراه مناسبا، وأصبح أنا مكشوف عن الحجاب.

١٩ يناير ٢٠١١م ((كُتب المقال))

لحد إمتى هنفضل نايمين؟
وعاملين روحنا مش شايفين

لحد إمتى هنفضل صابرين؟
وعلى كل حاجه نقول آمين

لحد إمتى هنفضل خايفين؟
وللظلم دايمًا مستسلمين

لحد إمتى هنفضل غافلين؟
وعن المطالبة بالحق دايمًا عاجزين

يا خوفي لا نكون فاهمين
إننا في السليم ومش ضايعين

ونكون ناسيين ومش عارفين
إننا لازم هنرد الدين حتى ولو بعد حين

أصل حق البلد دى دين علينا
هيفضل متعلق في رقابينا

لحد ما نرده تانى بإيدينا
عشان كده إتفرض علينا

إننا لازم نفوق ونعلى صوتنا
ونقول كفاية لخراب بيوتنا

إيه اللى باقى بعد ما ضاع قوتنا؟
وهيفوتنا إيه أكتر من اللى فاتنا

الظالم مش لاقى اللى يحاكمه
والحاكم مابقاش فايق لحكمه

والفقير مش لاقى يا عينى أكله
ما الغنى خلاص نهبه وأكله

اللقمة بقت عايزه حسابات
ومابقتش تيجى غير بخناقات

وبكره هتيجى بمزادات
على أكياس الزبالة اللى ماليه الخرابات

ده حتى النوم في الشارع بقى بحجوزات
والناس خلاص بقت عاهات

والشغل بقى محتاج معجزات

والدنيا كلها بقت مخالفات

والشباب نازل معاكسات
في البنات اللى نصهن عاريات

وبعيدًا عن شوية المنقبات
والأخوات الكاسيات

خلونا في اللى مالين الكابريهات
اللى بيعرقوا ويتسموا فنانات

رسالة ماجستيرهم في هز الوسط
ودبلومتهم في ضرب الصاجات

وقال إيه بعد النمرة يعملن فتاحات
وفي النهاية كلهن محترمات

وبعد ده كله يطلع مصدر مسئول
يطمن الشعب على سعر الفول

ويؤكد على صلاحية العجول
المستوردة لسد جوع الغول

ومن ناحية تانيه بيؤكد سى المسئول
على انخفاض معدلات البطالة
وزيادة نسبة العمالة

وكمان كذا مليون سنه خلاص مش
هيبقى فينا حد عايش عاله

الشباب بينتحر مش عارفين ليه؟
والناس مخنوقة وقرفانه من إيه؟

ما الدنيا أهى ماشيه تمام
والبركة في مشاريع الإسكان

شقه أوضه وصاله من غير حمام
واللى يعوز يفك يروح عند الجيران

وماما أمريكا هناك في انتظارك
وسيبك بقى من مشروع ابنى دارك

أصلك عند الجيران هتلاقى حمامين
مفتوحين على بعض وفي نصهم بسين

بس يا ترى يا حزين يا بن الحزين
لو رحت تفك عند الجيران
أرضك...هتفوتها لمين؟!

يا ناس حد يقولى لحد إمتى هنفضل ساكتين؟

لحد ما يخربوها وتتهد فوق دماغنا
كفيانا بقى بكى على حالنا

يارب اوعدنا باليوم اللى هناخد فيه بالنا
وارحمنا برحمتك وكفاية أوى اللى جرالنا

أكرمنا بثورة تونسية
نحقق بيها أحلامنا العادية

ونقضى بيها على ظلم سنين
ياما نفسى بس أعرف

لحد إمتى هنفضل نايمين؟

طرحت سؤالًا-كما قلت-لم ولن يسمعه غيرى، وهذا لا يدل على بلاهتى، (لاسامح الله) لأن هذا السؤال، يسأله كل مواطن فاض به وسئم من الحياة يوميًا لنفسه، كما سئم من كتاباتى رفيق دربي الوحيد، برنامج الوورد، هذا الذي حمل عن عاتقى الكثير من كتاباتى المملة.. مع خالص شكرى له.

يذكر أننى منذ أنا بدأت الكتابة، وأنا أعلم بأن كتاباتى لن يقرأها غيرى، فلم أضع في بالى ولو مرة واحدة لمن أكتب، ومن الذي سيقرأ، ولعل هذا تناقضا واضحًا، فأنا أنادى في بعض الجمل "أيها القارئ"، مع إنه ليس هناك قراء غيرى، وكذلك الحال بالنسبة لجملة "يا ناس" ، ومثلهما كثير.. فيا ويلتى من نفسى، التي ضايقتنى من تناقضها الراسخ فيها، ومن حالة الوهم هذه التي أعيشها، عندما أعتبر نفسى قارئًا جديدًا، في كل مرة أعيد فيها قراءة ما كتبت، فسبحان من سواها هكذا.

" لو لم أكن مصريًا...لحمدت الله وبوست إيدى وش وضهر".

أصل الواحد خلاص بصراحة فاض بيه

عتاب حبيب لحبيبته



عندما يمتلئ النهر عن آخره، يفيض على الأراضى المحيطة به، فيغرقها بفيضانه، الذي يدمرها تدميرًا في أغلب الأحيان، إن لم يكن كلها. مع إنه لم يقصد ذلك على الإطلاق، فهو مغلوب على أمره، لذا فاض بمياهه الزائدة، وأغرق ما حوله.

كذلك النفس البشرية، عندما تمتلئ بالضيق عن آخرها، لابد وأن تأتى لحظة عليها تفيض فيها بضيقها على من ضايقها، حتى لو كانت تهيم بمن ضايقها عشقًا، وهذا بالضبط ما شعرت به، عندما قررت أن أكتب عتاب حبيب لحبيبته. اعتبرت نفسى الحبيب، وكانت مصر هى الحبيبة.. تخيلتها ماثلة أمامى في محاكمة، قد يظنها البعض قاسية، إلا إننى أقسم بأنها لم تخرج من حيز العتاب، الذي حمل من اللين والحنان الكثير، وهذا ما دفعنى لأن أعنون القصيدة بهذه الجملة ((عتاب حبيب لحبيبته))، بالرغم من عدم ذكرها في أى مقطع من مقاطع القصيدة، في محاولة منى لوصف الجو العام، حتى لا يحدث سوء فهم، ويظننى البعض قاسيًا في حديثى مع ((أمى)) مصر

حاسس إن أنا مدبوح
قلبي مليان جروح
وصوتى خلاص بقى منبوح
من كتر ما أنا ببوح وببوح

بآهات ملت صدرى
محسور عليكى يا أمى
ياللى نشفتى دمى
وشيلتينى بدل همومى أطنان
بقى يا جاحده مش مكفيكى همى

بجد أنا هموت وأعرف
جبتى القسوة دى منين
ده احنا يا أمى عشرة سنين
ماهماش يوم وللا يومين

والله وبحلف ميت يمين
حاسس إنى لا أنا ابنك
ولا حتى من نسل البنى آدمين

زى ما أكون كده ابن شياطين

حرمتيني أنا من حنانك
وعيشتي اللى ما يسوى في جنانك
زى ما يكون هو اللى صانك
وأنا الملعون ابنك...اللى خانك

فاكره أمثاله هيحموكى
بس ابقى قابليني لو نفعوكى
يارب..أشوف فيكى يوم مطين
وهما في مزاد عالنى بيبعوكى

ساعتها هشمت فيكى شماتة
أصلك كده كده بالنسبالى متفاته
روحى يا شيخه ده انتى تبته تباته

كان على عينى والله أبيع عشرتك
بس انتى السبب ضيعتى عفتك
وخضعتى يا أمى للى ثبتك

أثر عليكى بسلاحه لحد ما دمر نفسيتك
خدعك بقصة كفاحه وقتل خلاص همتك
فطنشتى ولادك خالص ونسيتى مسؤوليتك
خليكى كده باردة مش حاسه بأزمتك

وربى لتندمى لما تحسى بغلطتك
وساعتها هتحلمى باللى يساندك في محنتك
واشربى بقى يا أمى من كاس قسوتك
يوم ما أقسى عليكى وأردلك محبتك
والله ما أرضى عنك يا خاطية
اللا لما تفوقى من غفلتك

بجد أنا راضى ذمتك
مش أنا ضفرى يا مصر يا غالية
برقبة اللى ثبتك!

حتى الآن، لا أعرف كيف تجرأت وعاتبت حبيبتى مصر هكذا. ولكن كل ما أعرفه، أن حالة الملل، التي أصابتنى مما أصبحت مصر عليه الآن، كفيلة وحدها بأن تكون عذرًا يشفع

لى، في حالة تعرضى لنقد ما على عتابى لها بمثل هذه الطريقة، وإن لم تكن حالة الملل هذه كفيلة من وجهة نظر البعض، فيكفي هذه المرة عذرًا أن أقول بأننى كنت مغيبًا تمامًا، عندما كتبت هذه الأبيات، فصبر مصر على من أفسدها، حتى أضاعها، أضاع وعيى، وأفقدنى إياه. ولكن طالما إننى كتبت، فهذا يعنى إحساسى بكل كلمة كتبتها، وليعلم الله أننى لم أقصد شيئا من وراء هذه الأبيات أكثر من العتاب.

٢١ يناير ٢٠١١م ((كتبت القصيدة والمقال))

الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١م

الساعة الواحدة ظهرًا

بوووووووووووووووووووووووووووووووم

جاءنا البيان التالى

قناة الجزيرة

" أنباء عن خروج عشرات الآلاف من المتظاهرين في كل شوارع جمهورية مصر العربية، رافعين شعار عيش...حرية...عدالة اجتماعية، منددين بنظام الرئيس المصرى حسنى مبارك، مطالبين بإسقاطه، في محاولة لتقليد الثورة التونسية على أرض مصر، مستغلين في ذلك الشعار التونسي الشهير " الشعب يريد إسقاط النظام ".

وإليكم التقرير التالى.... كما يمكنكم متابعة أحداث التظاهرات بث مباشر من الشارع المصرى، بالصوت والصورة، من خلال قناة الجزيرة لايف.

القناة الأولى المصرية

سنعود بعد قليل.....(فيلم مواطن ومخبر وحرامى)

أهم الأنباء...

أعزائى المشاهدين إليكم أهم الأنباء من التلفزيون المصرى أهلًا بكم...

" خروج عشرات المتظاهرين في شوارع القاهرة في مظاهرات مطالبين برفع الأجور، وتحسين الدخل، ورفع مستوى المعيشة، ومزيد من العدالة الاجتماعية والحرية...إلى

هذا أعزائى المشاهدين ينتهى موجز الأنباء.. أترككم في رعاية الله وأمنه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ".

عدنا.....(فيلم مواطن ومخبر وحرامى)

" إذا لم تحاول أن تفعل شيء أبعد مما قد أتقنته....فإنك لن تتقدم أبدًا ".

(رونالد اسبورت)

مقدمة ثانية

"حلم هو أم علم...!!!!"

كانت هذه أول جملة نطق بها لسانى، فور نجاح ثورة ٢٥ يناير، التي أودت بمبارك ونظامه. فكل ما حدث ما كان ليخطر على قلب بشر. شعب عاش كالجسد بلا روح لعقود، وفجأة عادت له روحه، ليحيا من جديد، بثورة أبهرت العالم أجمع. ديكتاتور، ظن أنه ملك الدنيا بحذافيرها، والآن هو وراء الشمس، فى انتظار مصيره النهائى. رجال نظام بمناصبهم، استعبدوا شعبًا، والآن راحوا ضحية صرخته. مقالات، ظننت أنها ستلقى حتفها إلى مزبلة كل من خاف سلم، والآن أعدها لترى النور، ومن ثم لتحل ضيفة على مكتبة فلان عما قريب.. فسبحان المعز المذل مغير الأحوال.....!!!

أعرف أن البعض قد يرمينى بالباطل، متهمًا إياي بالكذب، ولا يصدق بأن ما كتبته في الجزء الأول من مقالات وقصائد من إنتاجى الأدبي قبل الثورة، ولكن يعلم الله مدى صدقى فيما قلت، وليعلم الجميع أيضًا أننى لم أضف جديدًا يذكر لكل ما سبق، بل على العكس أُجبرت – من قبل صراع نشب بداخلى – على تقويمه، لصورة تليق بالنشر، وذلك بحذف كل ما هو مسيء باعتبار ما سيكون. فكما قلت، كتاباتى – هذه التي أعدها الآن– لم تعد ملكًا لى وحدى، فسوف يمتلكها كل من أراد قراءتها عما قريب.

لم تكن خطوة إصدار (ديوان شعرى مقالى) وليدة الصدفة، وإنما هى نتاج لفكرة ما، سُجنت بداخلى لشهور قبل الثورة، دعمها وزاد من إصرارى على تنفيذها النجاح الساحق للثورة، التي اعتبرها – كما أشرت سابقًا– خط فاصل، ونقطة تحول في حياتى، وبالأخص الأدبية. فمن قبل كانت سبب توقف عملية نشر روايتى الأولى، بالإضافة لكونها مادة خصبة للكتابة بأنواعها، والآن هى موضوع أول عمل أدبي يُنسب إلي، فهى بنجاحها أعادت لقصائدى الروح، بعدما سلبتها منها، فأنا لم أنس ما قلته لنفسى يومًا ما في لحظة يأس..

"كفاك أيها الموهوم، لقد ضاع عليك كل ما كتبت"

ولعل هذا دليلًا على تناقضى، أكثر منه على نفاقى، فأنا قلتها من قبل..

" أكتب ولا يهمنى من سيقرأ"

وجاءت عليّ لحظة، تحسرت فيها على ما كتبته، لدرجة إننى كرهت الثورة في وقت معين، وحزنت لاندلاعها...نعم كرهتها في البداية، لأنها قتلتنى بقتلها لروايتى، فوقتها غلبت نزعة الأنانية بداخلى حبى الشديد لمصر، وفرحتى العارمة بتطهيرها ممن نجسوها، ولكنى أحمد الله كثيرًا بأن هذا الإحساس الآثم الدنيء سرعان ما زال عنى، وعادت إليّ فرحتى، مسجلة انتصارها على أنانيتى، بعد هزيمتها هزيمة فادحة. ومن ثم كان علي أن أجمع كل ما كتبته، وأخرجه للنور، في سلسلة كتب تحمل عنوان (أرشيفي قبل الثورة) ولكنى لم أوفق في ذلك، أو لم أملك وقتها من الأعمال الجيدة ما تمكننى من فعل ذلك، لذا قررت أن أصدر (شهادة على نفاقي) كأول أعمالى.

في الحقيقة، لم أكن على يقين تام بنجاح الثورة. وبالرغم من هذا، قررت أن أكتب كل ما ستشهده الأيام، منذ اللحظة الأولى لاندلاع الثورة، يوم الخامس والعشرين من يناير، وحتى نهاية الأحداث، لأجد نفسى في النهاية بصدد الانتهاء من وضع اللمسات الأخيرة لعمل، يؤرخ أحداث الثورة، من وجهة نظر شخص شارك فيها، اخترت له (أيام الغضب والكرامة) عنوانًا..ليس فقط، فإنتاجي الشعري هو الآخر أصيب بزيادة مروعة، فكتبت أثناء وبعد الثورة –كما أشرت في مقدمتى الأولى– ثمان قصائد هم..

(انتفاضة،رد الجميل،وصية شهيد،الهاء،صحوة ضمير،رسالة من شهيد،شهيد،حكاية مواطن أدلى بصوته)..

فياله من شعور رائع!..عندما كنت أنتفض من مكانى، وقد انتابتنى فرحة عارمة، راقصًا كالمجنون، لأننى انتهيت من كتابة قصيدة جديدة، ستزيد رصيدى الشعرى واحدة.

والآن، بقى لك أن تعرف أخى القارئ، لماذا اعتبرت الكتاب شهادة على نفاقي. في الحقيقة، أنا لن أخبرك، ولكنى سأساعدك، بإعطائك أدلة على مدار هذا الجزء، لتعرف.. أولها إننى طرحت سؤالى: لحد امتى؟ يوم التاسع عشر من يناير، وانتظرت إجابة الأيام، كما ختمت القصيدة بدعاء طلبت فيه من الله أن يكرمنا بثورة كالتونسية، مع إننى كنت واحدًا ممن علموا برغبة الشباب، وقلة قليلة– تكاد لا تذكر– من الحركات المعارضة للنظام في الثورة، ليس فقط، بل كنت ممن ساهموا في نشر بيانها.

إذًا فأنا لست بشخص (مكشوف عنه الحجاب) عندما أكرمنا الله بالثورة، ولكنى أرى بأن اعترافي وحده كفيل بأن يجعلني راضيًا عن نفسي تمامًا بخصوص نفاقي لنفسي، الذي بدا واضحًا قبيل وأثناء الثورة، فمن رُفع الستار عن نفاقهم كثيرون، سواء أكانوا مشاهير أم مواطنين مصريين، يعشقون تراب هذه الأرض. فكما شهدت الثورة نجاحات، وانتصارات، ومعانٍ سامية، شهدت أعمال بلطجة، وخسائر، ونفاق. فحتى الآن، هناك من يتحسرون على أيام المخلوع مبارك، ويشتاقون للشعور، ولو للحظة، بالأمن الذي كان يسود البلاد – من وجهة نظرهم– في عهده، وفي الوقت ذاته، هم أنفسهم من أشد الحريصين على الذهاب للتحرير فى كل جمعة، رافعين لافتات القصاص للشهداء، وسرعة محاكمة الخونة قتلتهم، منادين – بالطبع على غير اقتناع – بمطالب الثوار، الذين وصفوهم يومًا ما بشوية العيال البلطجية الأوباش. فخوفهم من إبداء آرائهم المناهضة للثورة من ناحية، ونجاح الثورة من ناحية أخرى أجبراهما على التزام الصمت، وإظهار عكس ما يخفونه في نفوسهم، وإلا يحصلوا على لقب (فلول) أو (بلطجية) أو يشغلوا مكانا ما فارغًا في القوائم السوداء، إن كانوا من المشاهير، مع إن الثورة، في الأساس، قامت من أجل حرية الرأى..وإلا فأين هى الديمقراطية؟!!

فالتمسك برأيي، حتى لو كان مضادًا لرأي الثوار، مناهضًا لثورتهم، والحصول على لقب فلول وبلطجى خير عندى مليون مرة من نفاق النفس، وإظهار عكس ما تخفيه بداخلها. لذا، أردت أن أجهر بنفاقى لنفسى، الذي بدر منى– غصبا– في لحظة ما من لحظات

الثورة، وأعلنه على الملأ، حتى أتخلص من صفة ما كانت في إطلاقًا، ولم أعهدها إلا عندما عشت أيام الثورة، ولكنى أؤكد على أن نفاقى لنفسى يختلف، فقد حدث-كما قلت- رغمًا عنها لا من أجل مصلحة ما، كالكثيرين ممن نافقوا أنفسهم، فأنا منذ البداية وأنا مع الثورة قلبًا وقالبًا، ولم أكن يومًا مؤيدًا لها وآخر مناهضًا، حتى في هذه اللحظة التي نافقت فيها نفسى.

***

(٢)

إنتاجى الشعرى والمقالى

بعد الثورة

ما كتبته بينى وبين نفسى

وأذعته على الملأ

عيش...حرية...عدالة اجتماعية

***

الشعب يريد إسقاط النظام

***

ثورة ثورة حتى النصر...ثورة في كل شوارع مصر

***

ولا بنخاف ولا بنطاطى...أمن الدولة واطى واطى

***

يا حرية فينك فينك...أمن الدولة بينا وبينك

***

يا جمال قول لأبوك كل مصر بيكرهوك

***

يا زين قول لمبارك...السعودية في انتظارك

***

يا حكومة هز هز...كيلو اللحمة بقى بالحجز

***

هما ياكلوا لحمه وفراخ...وإحنا الفول دوخنا وداخ

***

مصر يا أم...مصر يا أم...ولادك أهم

***

يا أهالينا انضموا لينا

***

باااطل

انتفاضة

لعبها القدر، وأراح بالى، وازدادت ثقتى بنفسى، عندما جاءتنى إجابات عن بعض ما ورد عنى من أسئلة في الجزء الأول بثورتين ولا أعظم!!!..فأنا شهدت، فتعايشت فعانيت، فسئمت، فمللت، فكتبت ومن ثم توقفت لأيام، وبمجرد أن انتفض المصريون، انتفضت أنا الآخر بقلمى، وكتبت (انتفاضة) التي تعد أطول ما كتبت حتى الآن من قصائد. فانتفاضة عبرت عن آلام شعب لازمته منذ عقود ثلاثة متتالية، تحت حكم ديكتاتور يزداد فشل سياسته في الإدارة يومًا تلو الآخر، في الوقت ذاته الذي ينفلت من بين يديه زمام الأمور شيئا فشيئا، تاركًا إياه لحاشيته الفاسدة، وأتباعهم، بقيادة نجله الأصغر، وحتى رابع أيام الثورة، يوم جمعة الغضب.

سلبيات كثيرة، فاض بها بحر الحياة في مصر، في عهد المغضوب عليه حاليًا حسنى مبارك، ولا أحد يتجرأ على التفوه بكلمة. ومن يملك الجرأة لفعل ذلك، فمصيره محتوم، ومعروف للجميع. الرياح تأتى بما لا تشتهى الأنفس.. فساد فساد فساد، ولا شيء غيره. موج البحر يرتطم بالصخور ليطهرها، حتى وإن تآكلت بعض الشيء. أما موج بحر الحياة في مصر، يرتطم بالناس فيخمدهم، بما ((يحدفه)) من فساد.. إنه لأمر مذهل حقًا!!..

كان هذا تصورى لحياة المصريين، قبل يوم الخامس والعشرين من يناير. أما الآن، وبعد أن فُتحت أبواب السماوات، التي ظلت مغلقة لعقود، لا يمكننى أن أقول أفضل مما قاله الشاعر التونسى المعاصر، أبو القاسم الشابى:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلى

ولابد للحق أن ينتصر

وذلك بالرغم مما دار حول هذه الأبيات من جدل، حيث قيل بأن الشاعر الشابى قد أوقع نفسه في دائرة الكفر، والشك في معتقداته، عندما ألزم القدر الاستجابة في حالة إرادة الشعب للحياة، فكان عليه أن يستبدل (لابد) بـــ (حريّ) ليصح القول، ولكن مهما كان فعشقى لهذين البيتين، وعشق ملايين العرب لهما هو ما دفعنى لأن أستعين بهما في تعبيرى عما شعرت به، فور اندلاع ثورة الغضب المصرية.

لم تكن رؤيتى للتدهور الحادث في سلمية الأحداث أمرًا هينًا، بل على العكس، أُصبت بحزن وحسرة، لم يسبق لهما مثيل. فبعد أن خرج المصريون في مظاهرات أبهرت العالم بسلميتها، ونظامها، انقلبت الأحداث رأسًا على عقب، وها أنا

أرى قاهرة المعز تحترق من جديد أمام عيني.. بلطجة، وتخريب، وسرقة، ونهب، وإرهاب، للمواطنين.. وحشية عارمة في التعامل مع المتظاهرين.. انسحاب كامل لجميع قوى الأمن، تبعته حالة من الفوضى، اجتاحت أرجاء البلاد..كيان دولة ينهار، ولا أحد يعلم من المسئول.. دماء تُسفك، وحرمات تُنتهك، وخوف يملأ النفوس، وحزن يغيم على قلوب الجميع.

كل هذا ولا أحد يتحرك.. صمت غريب من قبل رجال النظام الساقط البائد.. تجاهل مُتعمد من الحاكم.. الكل ينتظر، ولا حياة لمن تنادى، وكأننا نحيا في وادٍ، وهم في آخر منعزل عنّا تمامًا.

أربعة أيام كاملة، ولم يتحرك أحد من السادة.. ما زال الصمت هو لغة الحكومة.. الأحوال تزداد سوءً، والكل في انتظار تلبية النداء، وبينما الجميع على حالهم، فإذا بالرد يأتي بقرار الحاكم العسكرى للبلاد، فرض حظر التجوال على بعض محافظات الجمهورية. ولما لم يُضف هذا القرار جديدًا، أيقن الحاكم بأنه لابد من التخلى عن الصمت، فخرج علينا بطلته المستفزة في الثانية وعشر دقائق صباح السبت، التاسع والعشرين من يناير، وذلك بخطاب مُخزى، خيب آمال الشعب في التغيير. فقرار إقالة الحكومة حدث مرارًا من قبل، ولم يُجدِ بشيء.. عندها تأكدت بأن الأمور لن تنتهى عند هذا الحد،

فالقادم أظنه أكبر بكثير من أن ينتهى عند مثل هذا الكلام الفارغ، الذي تضمنه الخطاب.

خلوت بنفسى، بعدما ألقى حسنى خطابه، وفكرة انتفاضة مكتملة في رأسى، ولا ينقصنى شيء سوى أن أحبرها على ورق...أمسكت بقلمى، وسميت الله، وبالفعل لم تمر الساعة إلا وكان لى ما أردت، فتُرجمت فكرة انتفاضة، وأصبحت أمام عينى هيكلًا لما شهدته مصر من أحداث، منذ اندلاع ثورة الغضب، وحتى لحظة إلقاء الخطاب الأول.

انتفاضة شعبية

بدأت سلمية وبصورة عادية
الكل فيها طالب حرية
وشوية حقوق وعدالة اجتماعية
وياريت معاهم مزيد من الديمقراطية

خرج الشعب من بيته غضبان
ثاير وهايج وكمان قرفان
بينادى بحقه زى أى إنسان
عيش حرية وإسقاط نظام
حكم عليه ياما بالإعدام

وبدعوة شباب بيحب بلده
نفسه يعيش بكرامة على أرضه
الكل خرج وبأعلى صوت
يقول كفاية الشعب بيموت

ظلم وقهر وفساد وبطالة
فقر وذل وجوع وسفالة
وظباط تسب وتلعن فينا
واستبداد وإجبار وسيطرة علينا
والمرض خلاص بقى مالينا

ميّه ملوثة في أرض النيل
وطعام مسرطن في بلد الخير
وسرقة ونهب في أرض الحضارة
من حكومة استخبت في مغارة

يوم ما شافت الشعب فاق
وخرج يقول كفاية نفاق

وعزم على تنفيذ الإتقان
لا يرحل عنا لا هيتساق
غصب عنه هيجى الفراق

أكتر من تلاتين سنة والناس صابرين
فاكرينك فاهم معنى اليمين
اللى سبق وحلفته قدام ملايين
ومن قبلهم...قدام رب العالمين

خرجوا وقالولك ارحل عنهم
عاوزينك خلاص تسيبهم في حالهم
يمكن لما غيرك يجى ماينهبش مالهم
ويحاول يصلح اللى جرالهم

لكن انت قلت سيبوهم يتسلوا
يجيبوا آخرهم وفي الآخر هيملوا
لما يعرفوا انهم لا هيربطوا ولا هيحلوا

كنت فاكرهم لسه نايمين

وللظلم هيفضلوا مسلمين
بس النايم خلاص أهو قام
وحلف ما يوعى تانى ينام
غير لما يحقق بإيده غرضه
وترحل عنه وتسيبله أرضه

هتفنا في كل شوارع مصر
بثورة ثورة حتى النصر
عشان نقضى على ظلم سنين
عشناها كلها مخدوعين
مضحوك علينا ومش فاهمين

بس خلاص أهو جه الوقت
اللى لازم يترد فيه الدين
لكل واحد من المظلومين

الناس حلفت لتنام في الشارع
والكل بقى مستبيع وبايع
وليه لأ...؟!

ما الشعب أغلبه بقى صايع
والحق كده كده ضايع ضايع

الناس خلاص فاض بيها
من العيشة والهم اللى فيها
كانت فاكراك عايش ليها
وآديك سلطت الأمن عليها
يضرب ويقتل فيها
برصاص مطاطى وقنابل
بتسيل دموع عينيها

ولما نجحت في التدبير
وحسيت إنك فرقتهم على خير
الشعب أقسم عـــ التغيير
وحلف ليثور في يوم مشهود
يعلمك فيه معنى الصمود

وفعلا بذل الشباب مجهود
في حشد كم مش معدود

وفي جمعة غضب منشود
الكل خرج مشدود

عيش..حرية..كرامة إنسانية

الشعب قال من تانى مطالبه
ولسه رئيس الحكومة منفضله
ولا حياة لمن تنادى
أتاريه يا عينى ماكنش فاضى

مشغول بتقديم استقالته
بعد ما خلاص اتملت خزينته
فعلًا...
نظيف ونضف البلد بشهامته
بجد بجد بحسده على نضافته

وفجأة....

صدر قرار حظر التجوال

بعد ما اتأكدوا إننا مش عيال

بس بعد إيه؟! دى البلد خربت
سرقة ونهب وتدمير..دى ولعت

والناس تصرخ وتقول
الأمن فين يا حكومة؟!!
البلطجية خلاص هيموتونا
لا عاد شرطة ولا أقسام يحمونا

عشان كده ماكنش في إيدينا
غير إننا نزل وندافع عن اللى لينا
وعن الأماكن اللى حوالينا

مسكنا سنج وأسلحه بيضة
بجد الدنيا بقت عيضة
كل حاجه مولعه نار
والبلطجية نازلين فيها دمار

والفضائيات عماله تسخن فينا
الجزيرة والعربية وغيرهم
زى ما يكونوا متسلطين علينا
عمالين يهيجوا في الناس أكتر
ويقولوا ويقولوا والأقاويل تكتر

والله العظيم حرام عليكم
بلدتكم تخرب بإيدكم

يارب فين بس رجالة الحكومة
ساكتين ليه وأصواهم مكتومة
شكلهم كده ناويين يقوموا قومه

وفعلًا....

صدر بيان الساعة ١٢ وعشرة بعد نص الليل

ذاعته قنوات بلد النيل
الرئيس بيخطب في الشعب

ما بعد ما شمت فيه الشرق والغرب

الكلام اللى بيقوله ده..حد يناقشنى فيه
جاي يقيل الحكومة بعد إيه؟!
بعد ما خلاص ضحكت عليه

يااااااااه...

معاليك أخدت بالك متأخر أوى
بعد ما شعبك خلاص عليك قوى

يا ناس أنا صوتى اتنبح
مش شبابنا والله هو اللى دبح
ولا هو اللى خرب
ولا هو اللى جرح

دى ناس ركبت موجه نجاحه
بمخطط يدمر المراد إصلاحه

والله اللى حصل في البلد خيانة
ماينفعش نسكت عليها بأمانه

بس الأول نحمى نفسنا
على ما الأمن يرجع لنا
والبركة فيها لجان شعبنا
اللى سهرت علشان خاطر أمننا

ونزلت تكنس الشوارع
وتنظم كمان المرور
فعلًا يا شباب...جه علينا الدور

دلوقتى بيطلعوا يحلفوا بينا
بعد ما كان أملهم خاب فينا
وبعد ما كان بيقولوا عنّا سوسو وفوفو
أقسموا إنهم لا شافوا زينا ولا هيشوفوا

احمى يا رب بلدنا مصر
وانصرها على مين يعاديها

يارب...ولا تشمت حد فيها
صونها وبولادها عالّيها
وعالظلم دايمًا خليك مقويها

الحكاية لم تنته بعد..الأحداث تتأزم لحظة تلو الأخرى وكأننا نعيش أحداث فيلم، أعد مسبقًا بسيناريو تشويقى، يحمل طابع إثارة خاص وفريد.. الكل في انتظار مشهد النهاية، وكشف الستار عما تخفيه الأيام. ولكن بين مؤيد للثورة، ومعارض لها، يبقى الحال كما هو عليه.. شباب ثائر اختار ميدان التحرير مهدًا لاستعادة حريته، وتطهير بلاده ممن دنسوها، ونظام ساقط يقوده ديكتاتور بعند وكبرياء لا متناهٍ..

نحن ما زلنا في انتظار استجابة القدر لشعب أراد الحياة..
فهل ستطهر البلاد، أم سيفنى صمود الولاد..؟؟
هذا ما ستكشف عنه الأيام لاحقًا.

***



الجيش والشعب ايد واحدة

***

ارحل...ارحل

***

يا مبارك يا طيار اوعى تسيبها تولع نار

***

بالروح بالدم نفديك يا مبارك

***

بنحبك يا ريس

***

مش كل الشعب هو التحرير...مصر معاك يا ريس يا كبير

***

١ فبراير يوم سيظل محفور في ذاكرة المصريين

***

اوعى تسيبها وتمشى...من غيرك مش هتمشى

***

الجزيرة فين مش باينين ليه؟

***

أغنية القديرة شادية (يا حبيبتى يا مصر)

شوية عيال بلطجية

***

لجان شعبية شغالة بورديه

***

على نفس وتيرة كوك زيرو

يعنى إيه اعتصام في التحرير؟؟!!...
يعنى اوتيل فايف ستارز،سبايسى ميل من كنتاكى التحرير أو ساندوتش طوبيييييل ((بس اوعى تفهمنى صح)) وكمان بيبسى ماشين وخمسين دولار وتحرش جنسى وشغل أجندات أجنبية

***

يعنى إيه خطاب مبارك الأول؟؟!!...
يعنى قمة النفاق،يوم معاهم ويوم عليهم عشان الدنيا تمشى
وسمعنى سلام الهز ع الجانبين ويا مطنشنى يا ريس

***

يعنى إيه طنشنى شكرًا؟!!...
يعنى اللى في التحرير صوتهم يتبح أربع
أيام...ارحل...ارحل...ارحل

ويطلع مبارك في الآخر يقول أيها الأخوة والأخوات أنا طلبت من الحكومة تقدم استقالتها...هئ هئ هئ هئ

***

يعنى إيه وطنية؟؟!!...

يعنى مبارك يدمر البلد ويطلع بكل برود يقول غصب عن عين التخين مش ماشى وهاعيش وأموت فيها

***

يعنى إيه شباب بينادى بالحرية؟؟...

يعنى من حقنا من حقنا نحلم بحضن يضمنا

!!!!!!!!!!!!

رد الجميل

تعلمت منذ نعومة أظافرى أن الاعتراف بالحق فضيلة مهما كان، لذلك لا أجد مانعًا، ولا أشعر بأدنى حرج ولا خجل، عندما أعلنها صريحة، بأنني شخصية نافقت نفسها، وبشدة، في يوم ما، مستغلة في ذلك قدرتها في التعبير - هذه التي وهبها الله إياها -بكلمات تحبر على سطور الأوراق.

كنت واحدًا من ضمن ملايين تعاطفوا مع الخطاب الثاني، الذي ألقاه الديكتاتور حسنى مبارك في الأول من فبراير هذا العام، والذي أكد فيه بنبرة تعاطف، أبكت عيون هؤلاء الملايين، بأنه ابنًا لهذا البلد، ولن يتخلى عنه مهما كانت الأسباب، فهو من دافع عنه حربًا وسلمًا، لذا لن يترك أرضه ويرحل، بل سيموت فيها كما عاش فيها ما مضى من سنين عمره.

بمجرد انتهاء الخطاب، عم الحزن أركان بيتنا، حيث حزن والداي حُزنًا شديدًا لما تعرض له هذا الرجل من إهانة ((بالطبع من وجهة نظرهما)).. جلست بجانبهما، أخفف من أحزانهما، ولكنهما كانا لا يطقا حتى النظر في وجهى، لما شعرت به من فرحة، لعدم انخداع وافدي التحرير من المصريين بهذا الهراء، الذي تضمنه خطابه. حزنت كثيرًا عندما شاهدت أمى وهى تجهش ببكائها على ما تعرض له هذا الديكتاتور، رغم ما كانت تكنه لى بداخلها من ضيق، باعتبارى شابًا من هؤلاء،

الذين وصفتهم بالشباب الطائش عديم المسؤولية، ولكن مهما كان فهى في النهاية أمى....

شعرت وقتها بأننى لابد وأن أقدم لها شيئًا أطيب به خاطرها من ناحية، وأخفف عنها أحزانها من ناحية أخرى، حتى لو كنت غير راضٍ عن هذا الذي سأقدمه.. وكما هى عادتى، خلوت بنفسى، وبدأت أُجمع أفكارى، حتى خرجت بجملة ((رد الجميل)) لأتوج بها ما يدور في مصر من أحداث، وفي الوقت ذاته أهديها لأمى، تعاطفًا معها.. أنشأت ملف وورد، وانغمرت في كتابة لم تنقطع ولو لدقيقة واحدة.. نعم كتبتها من أول حرف لآخر حرف دون توقف. وحتى بعدما انتهيت منها، لم أضف لها أية تعديلات، وكأننى كنت أهرب من نفسى، ولا أريد أن ألفت أنظارى لما أكتبه، حتى لا أتراجع عن تنفيذ الفكرة، وأمتنع عن استكمالها.. أجبرت يدى وذهنى على الانخراط في جو مشبع بالنفاق، والاستمرار في رد الجميل، حتى أصبحت في النهاية أمام أمر واقعًا...

ماتستهلش كل ده
رد الجميل مايبقاش كده
رد الجميل مش أخرب وأدمر
رد الجميل بإنى أصلح وأعمر

أحط إيدى في إيد أخويا
وأضحى بروحى عشان خاطر أبويا
اللى عشنا تحت جناحه سنين
في أمان وسلام وإحنا مطمنين

لا مره دخل علينا بلطجى يرعبنا
ولا حرامى بسجنه وسيف يهددنا
لحد ما نسينا الخوف والرهبة
حرام عليكم.... كفاية
خلوا في قلوبكم رحمة

دى طاعة الأب من طاعة الرب
تقوموا تعملوا على أبوكم حزب
وتشمتوا فيه الشرق والغرب

بالذمة مش اللى حصل ده عيب
وكفاياكم بقى تخريب وترهيب
من حقكم تنادوا بحقوقكم
بس اللى مش من حقكم
إنى أدفع تمن تخريبكم

وتنيمونى في بيتى وأنا مرعوب
وتخلونى بعد ما كنت مطمن
حد خايف وعلى أمره مغلوب

خدتوا إيه من تخريب الأقسام
وإيه اللى هيحصل لو سقط النظام
إيه ضمنى ان اللى هيجى هيبقى تمام
ولو افترضنا إنه هيبقى تمام
ياترى عشان يصلح عاوزله كام عام

والله العيب مش في الحالى
ولا الحل في ايد اللى ركب
موجة الغضب وجالى

يستغل نجاحى ويقوم
يصنع لنفسه مكان عالى

الحل والله يا شباب في إيدينا
بلدنا دى مش هتعلا اللى بينا
خلونا في اللى نعرفه وخايف علينا
هو معاشرنا وحاسس باللى فينا
وكفاية إنه ضيع عمره علينا

بلاش تكونوا ناكرين للجميل
يا شباب بلدى بلد النيل
بلد ال٧٠٠٠ سنه حضارة
اللى كانت وهتفضل
طول عمرها منارة
تنور للتايهين والضالين
وتبيد برجالها المعتدين
اللى هيفضلوا فيها طمعانين
بس اللى بيعملوه ده على مين
وإحنا اللى صاينا رب العالمين

أدركت بانتهائى من كتابة رد الجميل بأن العاطفة لا تختلف كثيرًا في تأثيرها عن التعاطف، فهما بمثابة شيء واحد، بمعنى أنه ليس من الضرورى أن يكون الكاتب قد مر بالتجربة شخصيًا ليصدق في التعبير عنها، فمن الممكن أن يكتب الشخص متعاطفًا مع شيء ما، أو مع من تعاطفوا معه. فالكاتب هنا كالمرآة، كل ما عليه هو أن ينقل صورة حية وصادقة في التعبير عما يشعر به غيره، ممن لا يمتلكون القدرة على التعبير، وذلك بالطبع بعدما يتعاطف معهم، ليبدو تأثيرهم واضحًا، وهذا ما حدث لى بالضبط، عندما رأيت دموع والدتى تسيل من عينيها، كان عليّ أن أكون مرآة...استنبطت من جملتها الشهيرة ((مايصحش تكون دى آخرها)) لُب الموضوع المتلخص في جملة ((رد الجميل))...استعطفتنى بدموعها، فكتبت متأثرًا بحالها، متعاطفًا معها هذه الأبيات، التي اعتبرها شهادة على نفاق بدر منى دون وعى، والدليل أننى حتى الآن لا أعرف كيف خرج منى كل هذا المدح في هذا الرجل، مع إننى من أشد الساخطين عليه وعلى سياساته...لعلها نزعة التناقض الراسخة في أعماق نفسى، والتي كثيرًا ما ضايقتنى، لدرجة دفعتنى لكره حياتى بأكملها، ولكنى لم أفعل. ففي كل مرة أتذكر فيها بأن التناقض من صفات بنى البشر، المتأصلة فيهم، كنت أتراجع. وقد اتضح لي هذا الأمر، عندما ألقيت قصيدتى

هذه على أصدقائى وأحبائى، المتفقين معى في الرأى تجاه مبارك وسياساته...فعلى عكس المتوقع نالت القصيدة إعجاب غير عادى، لدرجة أهم وصفوها بأها أروع ما كتبت، و لم يختلف الأمر كثيرًا بالنسبة لوالدتى، التي بذلت كل ما في وسعها لتضعنى على اتصال بأحد البرامج التلفزيونية المناهضة للثورة ،كى ألقى بقصيدتى على مسمع من الجميع، ولكنى أحمد الله أن جميع محاولاتها باءت بالفشل.

مشاعر متضاربة اجتاحت النفوس.. أناس نجدهم يومًا مع الثورة، وآخر مناهضين لها..كم هائل من النفاق، اتضح وضوح الشمس بعد خطاب مبارك الثانى، الذي نجح به في اصطياد تعاطف بعض فئات الشعب من المسنين والشيوخ، وبعض شباب الحزب الواطى الحاكم، وقد رأيت هذا بأم عينى في مظاهرات التأييد يوم ١ فبراير، بالتفافهم حول نواب ذلك الواطى.

لم ولن أندم يومًا على نفاقى لنفسى، بدليل أننى أعترف به الآن على الملأ، رغم إننى كانت لى دوافعى، التي أجبرتنى على فعل ذلك. أما من ليس لهم دوافع، وما زالوا يظهرون غير ما في صدورهم، ما الحكم عليهم إذًا؟!!

في النهاية أنا حكمت على نفسى بالنفاق، بل وصل بى الأمر لإعلانه، ولا أريد منك عزيزى الشاهد على نفاقى سوى أن تجيبنى وبكل صدق وصراحة...

هل أنا بالفعل أستحق لقب منافق على رد الجميل أم لا؟!!

الورد اللى فتح في جناين مصر

ما هم إلا

شوية بلطجية هجموا على الأقسام وأخدوا جزائهم...يبقوا شهداء ازاى؟

تصدقوا وجهة نظر!!!

استرها علينا يا رب وارحم شهداءنا

وصية شهيد

قال تعالى في محكم تتريله:

بسم الله الرحمن الرحيم " ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ". صدق الله العظيم {آل عمران}

أتذكر نفسى وأنا واقف أمامها مرتبكًا، ألقى بأبيات شعرى.. أتذكر دموعها، التي فرت من عينيها غصبًا دون إرادة منها، فور ما أخبرها بوصية شهيدها "مادمعيش يا أمى" ،أتذكر إيماءة الموافقة المتكررة برأسها، والتي اكتفت بها ردًا في كل مرة كنت أعيد عليها وصية ابنها.

منذ الأسبوع الأول لعودة الدراسة بجامعة المنصورة، واحتفالات تمجيد الثورة وصانعيها تقام بشكل يومى في جميع كليات الجامعة، وقد كانت لكليتى (كلية الصيدلة) النصيب الأكبر، والأفضل من هذه الاحتفالات، التي خرج أغلبها بصورة مشرفة، تليق بحدث كثورة يناير المجيدة. كنت حريص أشد الحرص على حضور أكبر كم من الاحتفالات، رغبة منى في الاستمتاع والاستفادة بكل فقرة من فقراها، وبالأخص الشعرية... أبهرتنى جرأة بعض زملائى، التي بدت واضحة في

إلقائهم لقصائدهم، نظرًا لما أشعر به من غيرة على ما أكتبه، والذي لا أعرف له قيمة سوى من تقييمى الشخصى، وثناء القليلين ممن قرأته عليهم..

أقيم حفل والثانى، وما إن فُتح الباب على مصراعيه أمامى للاشتراك في الحفل الثالث، حتى تقدمت بقصيدتى (الهاء) لتحل منافسة على ستة عشر قصيدة، سبق وتقدم بهم زملاء غيرى.. حظيت القصيدة بإعجاب منظمى المعرض الخاص بالاحتفال، كما أشاد بها بعض من أصحاب القصائد المنافسة، ليس فقط، بل توقعوا لها أن تحصد مركزا متقدما، يتيح لها فرصة الظهور للنور، ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن، وخيبت نتيجة التصويت جميع التوقعات، لا لعيب في القصيدة، وإنما لعدم نزاهة التصويت، الذي اعتمد في المقام الأول على شراء الأصوات بحكم الزمالة، فالمجاملة هنا كانت هى الحاسمة لنتيجة التصويت، كما كانت هى الأمل الوحيد في بقاء صداقة أصحاب المراكز الثلاثة الأولى برفاقهم، في حالة التصويت لقصائدهم، وكأننا أمام صورة مصغرة من الانتخابات البرلمانية، التي طالما اعتمد فيها الحزب الوطنى - كما قالها الأديب الأسوانى - على جلب (الناس الغلابة) ممن يتقاضون (الخمسين جنيهًا) في الأتوبيسات...انتابنى وقتها خوف على مستقبل

الثورة وتأكدت بأننا في أمس الحاجة للقيام بثورة على النفس، لنغير من أنفسنا أولًا.

لم أشعر بالهزيمة، ولم أحزن إطلاقًا لأن قصيدتى لم تنل مقعدًا من مقاعد برلمان الاحتفال الثلاثة. فما حظيت به القصيدة من إعجاب كان أفضل بكثير من أى شيء آخر كانت ستناله في حالة الفوز. علمت بأن الاحتفال سيحضره كل من عميدة الكلية، والسادة الوكلاء، ونخبة من رؤساء الأقسام بالكلية، هذا بجانب أبطال الاحتفال، أسرة الشهيد محمد جمال، شهيد مديرية المنصورة الوحيد..

دقائق ويبدأ الاحتفال.. يا له من أمر مخزى حقًا.. أُعد الاحتفال خصيصًا لتكريم أسرة الشهيد، ولا يوجد من بين القصائد المرشحة ولو واحدة لتكريم الشهيد، والاعتراف بفضله في عودة كرامة شعب، بات سنينًا دونها..كان علي أنا أفعل شيئا، لأن القصائد التى تم ترشيحها غير مناسبة بالمرة للجو العام للاحتفال..كل ما كان يشغل بالى وقتها أن أقدم شيئًا لأم الشهيد، مهما كانت العقبات والعواقب. التمست لمقدمة الحفل قبل بدايته بدقائق معدودة أن أقدم قصيدة ما على سبيل الإهداء لأسرة الشهيد، باعتبار أن الحفل أُعد لهم خصيصًا.. تقبلت ما قلته لها بصدر رحب، ولم تعترض إطلاقًا، وبدأ الحفل...

ما كان بداخلى وقتها من خوف لا يوصف بكلام، ففقرتى هذه زائدة عن برنامج الحفل، و لم يعد لها مسبقًا، ولا يعلم عنها أحد سوى الله، ومقدمة الحفل، وبالطبع أنا.. لحظات وتنتهى الفقرة الأولى، وسيتوجب علي أن أعتلى منصة المدرج المخصص للاحتفال.. مرت اللحظات، واستدعتنى مقدمة الحفل، وما كان منى إلا أن اصطحبت رهبتى معى، وصعدت، وأمسكت لأول مرة في حياتى بالميكروفون، لألقى بقصيدة (وصية شهيد)....

" السلام عليكم...في البداية أحب أرحب بكل السادة الحضور وبالأخص أسرة الشهيد البطل محمد جمال...في الحقيقة أن واقف مكانى هنا النهارده عشان في رسالة صغيرة حابب أوصلها لأم الشهيد...وبداية كلامى هقول لحضرتك: " مادمعيش يا أمى "...

استدرت ناحية أم الشهيد محمد وبدأت....

مادمعيش يا أمى

راح أموت عشان بلدى
علشان تراب أرضى
علشان أخويا يعيش

مادمعيش يا أمى

هيقولوا عنى شهيد
وهيبقى اليوم ده عيد
يوم ما أكتب بدمى
لبلدى عهد جديد

مادمعيش يا أمى

أنا نازل أرد حقى
وجزائى عند ربى
في جنة الخالدين

مادمعيش يا أمى

وماتحزنيش عليا
خليكى فخوره بيا
ابنك بطل ابنك بطل
استشهد عشان كرامته
ابنك بطل ابنك بطل
الدنيا عرفت قيمته

مادمعيش يا أمى

أنا اللى زيى كتير
حلموا بالتغيير
وراحوا ضحية حلمهم
بإيدين ناس معدومة الضمير

مادمعيش يا أمى

هعيش عندى ربى

وده من حسن حظى
انى احتسبت شهيد

مادمعيش يا أمى

أنا عايش حى أرزق
مش ميت ولا قتيل

مادمعيش يا أمى

هتيجى يوم القيامة
تشوفينا في النعيم
وتعيشى معايا في
لأبد الآبدين

مادمعيش يا أمى

لا أعرف من أين أتتنى هذه القوة لكى أقف كالجبل راسخًا، وجهًا لوجه أمام هذه الأم، التي أبكت أعين الحضور جميعهم بلا استثناء.. موقف مؤثر للغاية.. عيناها لم تتوقفا عن البكاء ولو لثانية، مع إنها كانت توافقنى بإيماءة رأسها في كل مرة أقول لها " مادمعيش"...حاولت أن أكون متماسكًا لأبعد الحدود، لذا حاولت تجنب النظر إليها، فكانت كلما وقعت عينها في عينى، رغمًا أخطف نظراتى، حتى لا تستعطفنى ببكائها، فتفسد الفقرة المفاجئة للجميع...

لحظة بلحظة بدأت رهبة الإلقاء تزول، وبدت أكثر جرأة وصلابة، وقد زاد هذا كله ذلك الدوى النابع من تصفيق الآلاف من الأيادى الحاضرة، وصفير مئات الحناجر.. أصبحت في عالم غير العالم،كان أمرًا مهولًا بالنسبة لى استمتاع كل هذه الآذان الصاغية لشعرى الخفيف. لم يكن يعلم أحد ما كان يدور بداخلى وقتها إلا الله..كنت أشعر بنار تندلع، ثم تخمد، ومن ثم تندلع، ثم تخمد كلما لمحت بطرف عينى دموع هذه الأم.. العادى بالنسبة للنار أنها تُطفأ بالماء، ولكن نيرانى كانت تشتعل بماء دموعها..

توقفت بفعل أصوات التصفيق والصفير عند " راحوا ضحية حلمهم..بإيدين ناس معدومة الضمير " ولكنى لم أغير وجهتى ناحية الجمهور، بل على العكس تراجعت عن موقفى ونظرت

إليها وبقيت على حالى ناظرًا تائهًا لعين هذه الأم الباكية، وهنا غابت عنى الجرأة، وابتعدت عنى الصلابة، وقاطعتنى القوة، وفقدت السيطرة على نفسى. ولكن مهما حدث، فلا مفر من أن أكمل ما بدأت...قربت الميكرفون ثانية بعدما خمد صوت الحضور، واستطردت والدموع تسيل من عينى.. وضعت وجهى في الأرض، لا خجلًا، وإنما خوفًا من شيء ما، لا أعلمه.. كنت مرتبكًا للغاية، وقد زاد من ارتباكى هذا عدم وجود الورقة الثالثة، والتي سبق وأعطيتها لمقدمة الحفل قبل البداية، على أساس أننى سألقى ما في الورقات الثلاث.. لم يكن بإمكانى وقتها أن أفكر فيما دفعها لتجاهلها، وأصل لأن ضيق الوقت كان السبب، لذا بمجرد أن انتهيت من إلقاء قصيدة (وصية شهيد)، وضعت الميكرفون على منضدة أمامى، وتحركت قاصدًا مقدمة البرنامج، وأخذت الورقة الثالثة، وعدت لمكانى من جديد، وهذه المرة نظرت لصورة الشهيد، التي احتلت شاشة عرض المحاضرات بالمدرج، وخاطبته بالنصف الثانى من (شهيد)

كان ممكن أكون واحد منكم
كان ممكن أكون زيكم شهيد

علشان أعيش ضحيتوا بحياتكم
بجد رجاله من حديد

والله اليوم ده يوم فرحكم
كتبتم بدمك عهد جديد

رجاله وعرفتو الدنيا قيمتكم
ويوم موتكم ده يوم عيد

افرح يا شهيد افرح يا شهيد
وفي جنة ربى عيش سعيد

نام في قبرك متهنى ومرتاح
واطمن هنكمل الكفاح

وعهد عليا هرد حقك

من اللى غدر بيك وقتلك

ووعد منى هرعى أهلك

وأحفادى هفحظهم اسمك

هذكرك بعد سنين من بعدك

وهحلف بيك ياللى ماشفت

شهامة قبلك ولا هشوف بعدك

انتهت فقرتى" وزى ما أكون ما صدقت " وبسرعة شديدة للغاية وضعت الميكروفون، وبحثت عن أى طريق يخرجنى من هذا المأزق..كنت حريص أشد الحرص على ألا يرى أحد دموعى، فيظنها دموع تماسيح، لذا حافظت على وجهى مُكبًا، حتى وأنا أهبط درجات سلم المنصة الثلاثة، وفجأة شعرت بيد تمسك ذارعى، وتعوق استمرار سيرى، ففزعت واستدرت خلفي، لأرى ما يعوقنى، فإذا بأحد منظمي الحفل يقول لى:

" الناس قامت تسلم عليك مرتين...انت ليه ما سلمتش؟!".

ذُهلت مما قاله، وما كان منى إلا أن انتزعت ذراعى من بين يده، وواصلت سيرى، حتى عدت وجلست مكانى بجوار أحد أصدقائى، فإذا به هو الآخر يهمس إليّ:

- إيه يا بنى اللى انت عملته ده؟!!

- عملت إيه؟!

- يعنى مش عارف عملت إيه؟!!..يعنى أبو الشهيد وأمه يقفوا يسلموا عليك مرتين وانت ولا هنا

- والله العظيم ما أخدت بالى يا بنى انت مش شايف حالتي عامله ازاى؟! وثم إن دى أول مره أمسك مايك والله ما أخدت بالى

- ماخدتش بالك!!!!...طيب اسكت خلينا نسمع.

فعلًا "الحلو ما بيكملش"...

أعلم أنا ما حدث بالنسبة للكثيرين يعد جُرمًا لا يُغفر، وقلة ذوق متناهية، فكيف لى ألا أسلم عليهما، عندما وقفا ليصافحانى مرتين؟!

أقسم بالله أننى لم أرهما، لا في المرة الأولى عندما انتهيت من وصية شهيد، وتوجهت لأحضر الورقة الثالثة، ولا في المرة

الثانية، قبل أن أغادر المنصة، نظرًا لما كنت فيه، وليعلم الله مدى صدقى في هذا.. شعرت بحسرة شديدة بعد ما همس به صديقى إليّ، وأصبت بصمم، لدرجة إننى لم أشعر وقتها بما كان يدور حولى..

" يا رب انت بس اللى عالم انى ما قصدتش أى حاجه من اللى حصلت ".

كان هذا التوسل آخر ما بدر منى لنفسى، قبل أن أصحو من غفلتى على صوت مقدمة الحفل، وهى تقول:

" حان الآن فتح باب التوجه بالأسئلة لأسرة الشهيد محمد"

انتفضت من مكانى كالمجنون، لأمسك بالميكرفون، لأقدم اعتذارا رسميًا لأسرة الشهيد، على مرأى ومسمع من كل الحضور، وبالفعل كان لى ما أردت، وأتيحت لى الفرصة لأكون أول من يمسك بالميكرفون:

" طبعًا أنا بعتذر لحضراتكم على قلة ذوقى الغير مقصودة بس والله أنا ما أخدتش بالى خالص لأنى بجد كنت متأثر جدًا بالموقف ".

هكذا التمست العذر من أسرة الشهيد، وأنا في طريقى لاعتلاء المنصة مرة ثانية، فرد والده:

" انت تستاهل إن أنا اللى أنزلك مش انت اللى تطلع "

لم أصدق وقتها ما قاله، فرده هذا حملته، وما زلت، وساماً على صدرى، واعتبرته تكريمًا من الله عز وجل، لأنه كان يعلم بأن ما حدث حدث بدون قصد منى...

بمجرد أن سمعت رده هذا، سرعت من خطوتى، وصعدت، وإذا به يستقبلنى فاتحًا ذراعيه، وما إن ارتميت في حضنه، حتى انفرجت عينى بدموعها، ثم أعادنى من بين يديه، ونظر إلي وربت على كتفي قائلًا: " انت زى محمد ابنى "

عندها ارتفعت صيحات الحضور، وعلا صوت الصفير مجددًا، بالأخص عندما توجهت لأم الشهيد، وانحنيت مقبلًا يدها.

انتهى الحفل، ومر اليوم بسلام، وحتى الآن لا أصدق وأنا أشاهد فيديو الحفل كل ما حدث، فأنا أؤكد بأننى لا زلت أحلم..كان حقًا يوم من أجمل أيام حياتى، تُوج بسعادة عارمة، خاصة بعد ما تلقيته من ردود أفعال الحضور، الذين أعربوا لي عن مدى إعجابهم بالقصيدة، وفرحتهم بما حظيت عليه اليوم من شعبية، جراء ما حدث.

أول ردة فعل لاقيتها كانت من زميلاتى، اللاتى اتفقن في هذا اليوم على تعقيب واحد فقط، تكرر منهن جميعًا " بجد انت بكيت عيونا جامد أوى النهارده...ربنا يوفقك"،إضافة

لهذين التعليقين اللذين لم ولن أنساهما، مهما مر على من سنين..

الأول لصاحبته مقدمة الحفل عندما ذهبت لأشكرها على ما قدمته لى " تشكرنى على إيه؟!...إنت تستحق النهارده لقب المنقذ...بجد أديت أداء عالى"

أما الثانى فكان لعميدة الكلية أ.د ماجدة أحمد نصر "بجد خليتنى أبكى...كلامك كان صعب أوى"

وأخيرًا، وليس آخرًا، تعليق زميلى خالد زيادة، موهبة كلية صيدلة الغنائية الصاعدة " ما شاء الله عليك إنت بجد موهوب...ربنا يوفقك"، بالإضافة لتعليق رفاق دربى من الشباب " كنت جامد فحت " !!!!

لو وضع أحد في مثل هذا الموقف، وسمع مثل هذا الكلام، لطار عاليًا كالبالون المنتفخ من شدة الفخر، ولكن شخصية كهذه التي أتمتع بها، قد حالت بينى وبين فعل ذلك، فأنا بطبيعتى لا أصدق نفسى، ودائمًا ما أشكك فيها، مهما قال الناس عنى.. حقيقة الأمر أنا لا أعرف هل هذا نوع من التواضع، أم إننى بالفعل أتعمد التقليل من شأنى، وشأن ما أكتبه، حتى لا أصدق نفسى، وأسير وراء أوهام، قد تودى بى في النهاية لما لا يُحمد عقباه...أقول لك " الله أعلم"...

كان البكاء هو سمة الحفل المميزة منذ أول دقيقة فيه، وحتى آخره...وقد اتضح هذا عندما تفرغت أسرة الشهيد للحديث عن شهيدها، حيث ابتدأت والدته الحديث عن صفاته، وخلقه الحميد، ثم تطرقت لهذه الأيام الثلاثة الأخيرة قبل استشهاده، فوصفته- على حد قولها- بأنه كان (سهتان)، ثم توقفت برهة، ومن ثم استطردت، واسترجعت ذكريات اللحظة التي علمت فيه بوفاة ابنها الشهيد.. تذكرت صرختها الأولى، منادية باسمه، عندما جاءها النبأ، ثم أعادت علينا آخر مشاهد فيلم حياتهما معًا في المستشفي، التي استقبلت محمد شهيدًا، قبل أن يُنقل لمثواه قبل الأخير. رأته كالبدر، يشع نورًا على نوره، الذي طالما رأته في وجهه طيلة حياته، ثم أكدت على إنها تعمدت ألا تصرخ، واكتفت بحضن وقبلة أخيرة، طبعتها على جبهته، قبل أن يغيب عنها للأبد. توقفت مرة ثانية، لتجفف دموعها، ثم واصلت وحكت عن هذه الرؤى، التي رأتها في منامها. فقد جاءها ابنها محمد في مرة من المرات وهو يرتدى ثيابًا ناصعة البياض، ويقف وسط حقول خضراء، ما أروعها.. تبهر الناظرين بجمالها، ومن خلفه كان هناك قصر يهبط مهلًا من السماء، وهى واقفة، وقد أصابها ذهول ما بعده ذهول، وبينما هى على ذهولها، فإذا به يبادرها الكلام

- إيه يا أمى ما لك ؟! بتضحكى على إيه؟! مستغربة من القصر اللى ورايا؟

- وإنت عرفت منين إنك وراك قصر يا محمد؟!!!

- لأن القصر ده ملكى أنا يا أمى

- ملكك!!!...طيب ما تاخدنى معاك يا محمد

- هاخدك...بس مش دلوقتى

ثم روت علينا رؤيتها الثانية، عندما جاءها في منامها-كما وصفته- عملاقا بدرجة كبيرة، يرتدى رداء جيش، ومن خلفه طائرة عملاقة، قد نزل منها، فسألته:

- إيه يا محمد رايح على فين؟!!

- رايح لإخواتى في ليبيا يا أمى

أقسمت الأم بأنه قال لها جملته هذه قبل وقوع مجازر القذافي في ليبيا، وأعادت قسمها بأن أحداث ليبيا قد اندلعت في اليوم التالى لرؤيتها، وقالت بأنها عندما روت تلك الرؤية على أحد المشايخ قال لها:

" أبشرى...فمحمد ذهب لاستقبال أخوته الشهداء في ليبيا".

انتهت والدة الشهيد، وجاء الدور على والده، هذا الذي ابتدأ كلامه من نهاية آخر يوم من أيام محمد في الحياة، فحكى عن هذه اللحظة، التي ودع فيها محمد جميع أفراد الأسرة، بداية

بوالدته، التي كانت تمنعه وبقوة من الترول للشارع يوم استشهاده بالتحديد، فعندما ذهب إليها ليودعها، وجدها وقد سكنت فراشها، بعدما اجتاحت رعشة الخوف جسدها، وتملكتها تمامًا، فبادرته قائلة:

- أنت هتموت النهارده يا محمد،بلاش تترل

- يا ماما كل واحد بياخد نصيبه وده يبقى كرم من عند ربنا لو كتبلى أقابله وأنا شهيد

هكذا رد عليها محمد، بعدما رسم على وجهه ابتسامة رضا، ومن ثم طبع قبلة على رأسها، واحتضنها بشدة، ثم غادر بلا رجعة....

وهنا قاطعت والدة الشهيد كلام أبيه، وأضافت بأن محمد أصر قبل نزوله على أن يوقظ أخاه من نومه، كى يودعه، ثم استطرد أبيه، وأخبرنا بأن محمد كان يحلم بالهجرة، وتَرك مصر، أو على الأقل النّيل بفرصة عمل في أى دولة أوروبية تبعده عنها، وأنه بالفعل، بعد رحلة سعى طالت، تمكن من النّيل بفرصة مناسبة في تركيا، حتى إن ميعاد سفره كان قد حُدد قبل ثلاثة أيام من استشهاده، مع العلم بأن محمد استشهد يوم جمعة الغضب ٢٨ يناير، ولكن محمد فضل البقاء في مصر على حلم طالما راوده وتمنى تحقيقه، لأن مصر تحتاجه الآن، فهذا هو الوقت اللازم للبقاء فيها عن أى لحظة أخرى..

انتقل والد الشهيد بعد ذلك لموقف من مواقف الشهيد محمد الشهم، عندما أنقذ فتاة في أسبوع حياته الأخير من اغتصاب مؤكد، كانت ستتعرض له على يد أربعة من الشباب البلطجية، وذلك بأن احتال عليهم محمد، وتمكن من إقناعهم بأنهما، هو والفتاة، تجمعهما صلة قرابة ما، وقد كانت في انتظاره قبلما يأتون إليها. ولما اكتشف محمد بعد ذلك بأن هذه الفتاة لم تكن تملك أجرة السيارة لتعود من حيث أتت، أعطاها إياها، وتركها لتذهب..

امتنع الوالد عن الكلام للحظة، ثم عاد للحديث عن خصلة جديدة من خصال محمد، وهى كرمه الزائد عن الحد فكان محمد في أغلب الأحيان -إن لم يكن كلها- ينفق راتبه بالكامل على صديق له، يعانى من حالة مادية سيئة للغاية.. وهنا بدت على والد الشهيد محمد بوادر بكاء، أخفاها وراء فخر باستشهاد ابنه، تظاهر به طوال الوقت، ولكنه تماسك، واستطرد بأنه نزل يومًا ما في ساعة متأخرة من الليل، وذلك بعد استشهاد محمد، ليطوف في الشارع، وبينما هو في جولته، فإذا بعينه تلمح ثلاثة من الضباط، يجلسون على جانب من الطريق. قادته رغبة خفية للتوجه ناحيتهم، ليسألهم لماذا اختاروا فلذة كبده من بين كل من كانوا معه، فانتزع صورة ابنه

المجاورة لقلبه من جيب قميصه، ووجه سؤاله لهم، وهو يشير إليها..

" ليه ده الوحيد اللى تموتوه على مستوى مديرية المنصورة كلها؟!!...ذنبه إيه بس؟!!...ده والله كان بيعمل كل ده عشانّا وعشانكم،عشان نعيش بكرامة مرفوعين الراس،منه لله اللى كان السبب...منه لله "

تجاهله اثنان من الضباط، وبكى الثالث، وقبل أن ينصرف عنهم طلب منه هذا الباكى الاحتفاظ بصورة ابنه الشهيد معه، فلم يتردد والد الشهيد، وأعطاه إياها، وانصرف..

فقرة أخرى ضمها الحفل، وأثرت في شخصيًا، وهى فقرة أسئلة الحضور لأسرة الشهيد محمد..كان أبرز هذه الأسئلة سؤالًا، طرحه أحد الزملاء على والد الشهيد:

- لو شفت الرئيس المخلوع مبارك قدام عنيك دلوقتى...هتقوله إيه؟

فأجب الوالد بابتسامة، أخفت وراءها حزن دفين..

- هقوله شكرًا

الجميع تعجبوا من هذا الرد، وبدا على وجوههم، كما تعجب منه السائل تمامًا..

- حضرتك هتقوله شكرًا !!!!!!!!!

- أيوه طبعًا هقوله شكرًا...شكرًا على إن ابنى مات شهيد.

تبع هذه الإجابة تصفيق شديد، قطعته كلمة إحدى أعضاء هيئة التدريس بالكلية لأم الشهيد

" أنا مش هقولك غير إننا كلنا معاكى وكلنا ولادك وبجد بعد اللى حضرتك قلتيه عن محمد أنا هقولك حاجه سمعتها من أم بتتكلم زيك بالظبط عن ابنها في برنامج تلفزيونى...يا أم البطل الشهيد محمد ابنك بجد ماكنش ينفع يموت غير شهيد "

انقضى اليوم على خير، وتحولت بنهايته لطير حر طليق، يرفرف بجناحيه في سماء صافية.. عدت للبيت وأنا أشعر بفجعة لا للطعام، وإنما للكتابة.. أريد أن أقول للشهيد أكثر مما قلته، لذا أحضرت لوازمى، وسميت الله، وبدأت (رسالة من شهيد) بـــــ (هذا أنا) وأنهيتها بـــــ (اذكرينى)....

هذا أنا

هذا أنا يا مصر ابنك
هذا أنا يا مصر عشيقك
هذا أنا يا مصر من استنفذ عمره في حبك
هذا أنا من عجزت أقلامه عن وصف جمالك

هذا أنا

هذا أنا من تنفس هوائك
هذا أنا من استظل بظل سمائك
هذا أنا من ارتوى بمياه نيلك
هذا أنا من استمد عافيته من خيرك

هذا أنا

هذا أنا من أوجعه صوت آهاتك فآلمته شدة آلامك
هذا أنا من ذاق مرارة ضياعك فاشتاق إليك حتى أحرقته
نيران شوقك

هذا أنا من أقسم على حماية عرضك فرضى بما لم يرضه لك
هذا أنا من فُرض عليه فراقك ولكنه لم يفعل فسُلب حقه ولم يرض بسلب حقوقك

هذا أنا

هذا أنا من ضحى بروحه مرارًا من أجلك واليوم ارتوى بدمائه تراب أرضك
هذا أنا من فعلها في يوليو وأعاد مجدك واليوم فعلتها في يناير وأعدت إليك شأنك
هذا أنا من ضاعت كرامته فدفع روحه ثمنًا من أجل كرامة شعبك
هذا أنا من أبهر العالم حتى أقسم بإرادة شبابك

هذا أنا

تعلقت بك فنسيت نفسي من أجلك وعشت مجنونًا بك
مشيت مرارًا على ترابك واليوم اخترته حضنًا...من أجل استعادة عزك

فهل ستذكرينني في تاريخك
أم ستنسيني وتتركوني وحيدًا شريدًا حزينًا في قبورك

اذكريني

اذكريني يا مصر فما من أحد صدق وعده وأخلص مثلي في
هيامك
اذكريني يا مصر فهذا أنا شهيد ميدان تحريرك
اذكريني يا مصر فهذا أنا من غير مسار حياتك وأطاح بنظام
أفسد نظامك

اذكريني

اذكريني يا مصر فأنا من طهرك ممن عكر صفائك ونقائك
اذكريني يا مصر وأقسمي لي بأنك لن تقسى ثانية على
أبنائك
اذكريني يا مصر فأنا لن أنساك مهما باعد الموت بيني وبينك

اذكريني يا مصر فهذا أنا شهيدك

ستبقى يا شهيد في البال، وستظل تذكرك مصر إلى ما شاء الله، فلولاك ما كان لنا أن نشعر بالحرية من جديد، لما عادت الكرامة لشعب طالما عاش مذلولًا مقهورًا، لما عادت الروح لجسد شعب انتهت صلاحيته منذ عقود مضت.. فأنت- كما قيل عنك- وصدق من قال، وردة تفتح في جناين مصر، التي غابت عنها ورودها منذ زمن. اطمئن.. دماؤك التي سالت لن تضيع هدرًا، بل على العكس ستنبت أرض مصر، التي ارتوت بها، رجالًا يكملوا مسيرة الكفاح، التي ابتدأها أنت. ليس فقط، بل أعدك بالقصاص العادل ممن قتلوك إن شاء لنا الله.. هنيئًا لك يا من اختاره ربه ليقابله شهيدًا

فحقًا وصدقًا قول عز وجل:

" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ".

ارحل...مراتى وحشتنى...متجوز من عشرين يوم

***

ارحل بقى أنا زهقت...شعرى طول ونفسى أحلق

***

ماليش دعوة هما عاوزينه يرحل وأنا عاوز حشيش...مش هى دى الديمقراطية؟!

***

ارحل خلاص الورق خلص وكتبتلك على جسمي...هكتبلك فين تانى بعد كده؟!

***

ارحل بقى انت مش حاسس بحاجه...أنا بقالى ١٨ يوم نايم في التحرير لحد ما جالى جرب...نفسى أستحمى

***

أول عقد قران يشهده ملايين...عُقد في التحرير

***

مش هنمشى...هو يمشى

***

الله أكبر....الجيش والشعب ايد واحده

***

إذا المصرى أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر فتُصنع المعجزات

***

من الحاكم العسكرى والرئيس المصرى مبارك إلى المخلوع مبارك

***

يا مبارك يا طيار جبت منين ٧٠ مليار

***

سهرة سهرة حتى الفجر

الهـــاء



حسب الترتيب الزمنى لما كتبته بعد الثورة من قصائد كان لابد أن تحتل (الهاء) المرتبة الرابعة بعد (وصية شهيد) إلا إننى فضلت بأن أجمع كل ما كتبته بخصوص الشهداء في جزء واحد، متجاهلًا هذه المرة الترتيب الزمنى. تعتبر الهاء كما أشرت سابقًا أسرع ما كتب في حياتى، وأول قصيدة بالفصحى أضفتها لحسابي البنكى الشعرى الفصيح. بدأت الهاء بفكرة -كما هى عادتى- ولكن هذه المرة استنبطت الفكرة من كلمة، طالما ترددت على ألسنة وافدى ميدان التحرير، طيلة أيام الثورة.

ارحل.. أقصر شعار عرفته البشرية بكل ما مر عليها من ثورات. شعار حمل كلمة واحدة، وجهها المعتصمون بالميدان، والثائرون خارجه للرئيس المخلوع مبارك، الذي ظل صامتًا لثمانية عشر يومًا، متعمدًا تجاهلها، وكأنه أعمى وأصم فقط عن شعارات وأصوات الميدان، لدرجة أصابت محتلي التحرير بملل رهيب، وفي اعتقادى أن السبب وراء تنحى مبارك لا يرجع- كما ادعى البعض- لحبه لمصر واحترامه لإرادة الشعب، لأنه لو كان هكذا، لأراحنا ورحل منذ اليوم الأول، ولكن السبب، والذي كشفت عنه الستار (مصادر مقربة غير معلومة الهوية) هو أن أرضية ميدان التحرير هى ما أجبرت المخلوع مبارك على الرحيل.. هتقولى الأرضية!!...نعم أرسلت

الأرضية يوم الحادى عشر من فبراير خطابًا للرئيس المخلوع مبارك، تحثه على الرحيل فورًا، لأن الحال قد ضاق بها، وأصيبت بملل رهيب هى الأخرى، كملل وافديها، وإلا ستغضب عليه، وتبعث محتليها للقصر الجمهورى، وليكن ما يكون.. (ده كمان بيقولك إنها في آخر الخطاب قالت له "يا أنا يا أنت ويا قاتل يا مقتول...اللهم بلغت اللهم فاشهد" وطبعًا الجواب سُجل بعلم الوصول وتسلمه المخلوع مبارك من أرضية ميدان مصطفي محمود الشقيقة أرضية الفلول...شغل أرضيات بقى وملناش فيه ولا يهمنا كل أرضية شايله فوقها ناس رأيهم عامل ازاى.. في الآخر برده الميادين ماهاش غير بعضها...قال على رأى المثل " الميدان للميدان والناس مالهمش غير الليمان " وقال " يا داخل بين الميادين وبعضها ما ينوبك إلا الطرد منها " وفي النهاية " التحرير للثوار ومصطفي محمود للفلول وأهو الكل في الآخر بيقول "....وللا إيه يا ؟؟؟؟ كمل انت بقى على نفس الوزن وبلاش أكمل أنا عشان ماحدش يزعل مني...بيس يا مان) !!!!!!!!!

حلم الرحيل، حلم طالما تمنى تحققه الشعب المصرى، حتى المناهضين للثورة، ولكن الطريقة التي ستتم بها الرحيل هى ما اختلف عليها الثوار مع المناهضين لثورتهم، (أو كما يطلق عليهم الفلول)، فالثوار يريدون طريقة رحيل تحمل من المهانة

والذل الكثير، كأبسط رد اعتبار لضياع كرامة الشعب، أما المناهضون فيرون ما ورد بالخطابين يتيح له البقاء لستة أشهر قادمة، لحين تسليم السلطة بشكل سلمى، ولكن بين مؤيد ومناهض، الكل في النهاية -كما قلت- يريد الرحيل عاجلًا كان أم آجلًا...

خرجت الملايين من المصريين بحلول صباح يوم الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١م، قاصدين ميدان التحرير، للمشاركة في فعاليات جمعة الانتظار.. انتشرت منذ الساعات الأولى من ظهر ذلك اليوم شائعات تفيد برحيل مبارك وتنحيه، كجس نبض، ولكن لم يحدث شئ.. أقدمت الساعة على السادسة مساءً، ولا جديد.. انقسم الناس لوجهتين، الأولى ستبقى في التحرير، ولن ترحل عنه إلا برحيل مبارك، فإما الرحيل أو الموت، أما الثانية ستتوجه إلى القصر الجمهورى لمحاصرته، وإجبار مبارك على التنحى. وما إن بدأ كلًا منهما في تنفيذ ما رأى، حتى طل علينا نائب الرئيس، السيد عمر سليمان بخطاب أعلن فيه تنحى مبارك عن السلطة، وإسنادها للمجلس العسكرى، مفوضًا من قبل الحاكم العسكرى.. حقًا يا لكِ من أرضية بنت بلد صحيح.. فعلًا ما يجيبها إلا أرضياتها!!!

حدث لا يصدق، ولم يكن ليخطر على قلب بشر، ومنظر مبهر لميدان التحرير، والحرية، لا يوصف بكلام. فرحة

اجتاحت أرجاء العالم العربى، بل العالم أجمع إلا إسرائيل وحلفائها بسقوط هذا الحمل الثقيل.. خلع المصريون ضرسهم (المسوس)، بعد رحلة آلام استمرت لعقود ثلاثة دون طبيب مداوى.. الكل عبر عن فرحته بطريقته، إما بالتهليل والصياح، أو بالرقص والغناء، أو حتى بالشماتة والبكاء. أما أنا فلجأت لعادتى في التعبير عن فرحتى أو حزنى، سيان، وأمسكت بقلمى، وكتبت فور تصديق خطاب التنحى أسرع ما كتبت في حياتى، (الهاء) في محاولة لربط الماضى بالحاضر..

سألت عنك في زمانه
قالوا أسيرة هى في سجونه

سألت عن مجدك وشأنك
قالوا ضاعا الاثنان تحت ظلاله

سألت عن خيرك وزرعك
قالوا لأناس وهبه غير أبنائه

سألت عن كرمك وجــودك
قالوا بخلت علينا من بخله

سألت عن تاريخك العريق أين هـــــــــو؟
قالوا نُسي التاريخ وتمادينا في نسيانه

سألت عن عظمة حضارتك
قالوا أين العظمة؟ وقد دهست بقدمه كرامة بلده

فتساءلت متعجبًا ما الذي تبقى منك يا مصر؟!
قالوا ذهبنا وذهبت مصر في عهده

قلت إلى أين ذهبتم؟ ومتى كان الذهاب؟
قالوا لسراب رحنا منذ أن متنا من أجله

قلت ما هذا الذي من أجله كان مماتكم؟
قالوا الحق الذي يأسنا من إرجاعه

قلت عن أى حق هذا تتكلموا؟
قالوا حق الحياة هذا الذي افتقدناه بسببه

قلت من هذا الذي بسببه افتقدتموه؟
قالوا ما بك أنت وما دخلك به

قلت أنا واحد منكم سبق وضحى بعمره
فسكتوا برهة ثم تألموا فجأة بآهاته

آهات شعب عاش سنينه غارقًا في ظلمه
وها هى الهاء الآن تتأسى من وصفه

أقسم برب البرية أننى
أحسست في لحظتى هذه بفقدانه

يا ليتنى مت قبل أن أعود لمصر
التي أصبح شعبها طوعه وأصبحت أرضها أرضه

وقبل أن أنوى الرحيل ثانية
توجهت بسؤال للجماهير من شعبـــه

فقلت ساخرًا كيف تتألمون وأنتم موتى؟!

قالوا ليس الموت بخروج الروح من الجسد فقد أماتنا بكبرياء نفسه

قلت وما ذنبكم إذن؟
قالوا لا ذنب لنا فنحن ضحايا شيطانه

قلت أخائفون أنتم؟
قالوا بلى صابرين على أمل إصلاحه

فعجب على أرض ضاعت هيبتها
وحسرة على شعب آماته بكبريائه

قلتها ورجعت لمكان غربتى
ومضيت سنوات بعيدًا عن ملكه

وفي يوم من الأيام كعادتى
جلست أتابع أخبار فضائح حكمه

فإذا بها عينى تتلألأ بدموعها باكية مما رأته

فشعبه هذا الذي سخرت من كلامه يومًا ينادى اليوم
بإسقاط نظامه

وها أنا قد تمنيت الموت ثانية
قبل أن أسخر من شعب لم يهزم من موته

وها أنا تمنيته ثالثة
قبل أن أترك الأسيرة التي دمرت أسوار سجنه

فيا أسفي على نفسى التي طاوعتها
ويا فرحتى بأرض استردت حقها بعدما سأمت من ضياعه

رحل العنيد الطاغية

وبقيت الأرض الأبية من بعده
والآن سجل التاريخ انتصارين وهزيمة
انتصار شعب وأرض وهزيمة كبرياء رجل ضاقت النفوس
بوجوده

لأول مرة، أشعر بأنني مصري، وأتندم على كل ثانية خانني فيها عقلى، وفكرت في الرحيل عن مصر بلا عودة، وعلى كل لحظة خدعتنى فيها نفسى، فتمنيت لو إننى ولدت بجنسية أخرى.. يا لها من حالة سأم أصابتنى منذ أن وعيت على الحياة في مصر، وأصبحت على دراية كافية بما يحدث فيها.. أُصبت بإحباط وأنا في مقتبل عمرى، فما بال من ضاع عليهم عمرهم تحت ظلاله، قبل أن يبدأ من الأساس.. قدمت من خلال الهاء نفسية مصرى، عاش أربعاء عمره الأولى، حالمـــاً بالرحيل عن مصر، حتى رحل، وعاش ما عاش مغتربا، ثم فكر في العودة، ولما عاد ولم يجد جديدًا، بل وجدها أسوأ مما كانت عليه، سخر منها ومن شعبها المذلول، وتمنى لو أن الموت أتاه، قبل أن يعود لمصر، ويراها هى وشعبها على حالتهم هذه، ومن ثم رحل ثانية، ولكن هذه المرة بلا أمل، لا في التغيير، ولا في العودة. حتى قامت الثورة، التي أبهرت العالم، وانعكست الآية تمامًا، فهذا الحالم المغترب تمنى لو إنه مات، ولكن هذه المرة قبل أن يسخر من شعب العزة، ويترك أرض الكرامة.. بالهاء قارنت بين نظرة كل مصرى لمصر، قبل وبعد الثورة ،كى يشعر كل من قال في حقها ولو كلمة بهذه النيران، التي تشتعل بداخلى، كلما أتذكر بأننى تمنيت أن أرحل عنها يومًا.

لك أيها القارئ أن تعلم، حتى لا تقع فيما وقع فيه غيرك، بأنني لم أطلق على الهاء هذا الاسم، لانتهائها بالهاء المكسورة، كما ظن جميع من اطلعوا عليها. ولتعلم أنني ما أطلقت عليها هذا الاسم، إلا لشعورى بالذنب...نعم شعورى بالذنب من تأسى الهاء.. أنا حملتها فوق طاقتها من المساوئ والسلبيات، ما تنوء من حمله الجبال، حتى اشتكت وبكت، فإضافتها لكل ما يتعلق بالمخلوع مبارك من سلبيات، كضمير عائد عليه، جعلها تتأسى، وقد بدر منى هذا في قولى:

" وها هى الهاء الآن تتأسى من وصفه "

هى فقط تأست، لأنها لا تملك غير ذلك، وأعى جيدًا بأنها لو كانت تملك لسانًا، لقالت لى، بعدما تقفز من الورقة، وتصفعنى على وجهى:

" كفاك أيها الوغد ظلمًا، لقد استأت من وصفه. ألا تشعر بكم السلبيات، التي أرفقتها إياى؟ ألم يكفيك أنك جعلتنى ضميرًا عائدًا عليه؟!...أقسم لك بأننى سأنشيء جروبًا على الفيس بوك (كلنا ضد الهاء) وسنخرج أنا وباقى الضمائر للتنديد بهائك، وإذا لزم الأمر سنعتصم في ميدان الضمائر الغائبة، لنسقط هائك كما فعلتم وأسقطتم مبارك، وأرنى ما أنت فاعله...(تييك كيير يا حيلتها) ".

الآن أنا لا أعرف هل لابد من أن أقدم اعتذارًا رسميًا للهاء على ما بدر منى من إساءة في حقها، أم أنتظر ثورتها هى وصحبتها ؟!!...أقول لكم ما علينا....

ما يمكننى أن أقوله في هذا العنوان أمرين، لا ثالث لهما، إما أننى كنت ذكيًا إلى حد ما، ولكى يصح القول كنت موفقًا، عندما عنونت قصيدتى بهذا الحرف، أو الضمير، سيان، أو أن كل من قرأت عليهم هائى هذه- مع احترامى لهم جميعًا- أغبياء، فأنا كلما أتذكر هذه الابتسامة العريضة، التي يرسمها كل شخص قرأت عليه القصيدة، عندما أسأله عن سبب تسميتى لها بهذا الاسم، وأجده مفتقرًا للإجابة، عاجزًا عن الرد مكتفيًا (بهزة رأس يسارية أو يمينية، تتبعها رفعة كتف، وتكشيرة، ثم ابتسامة، كدليل جديد إما على غبائه، أو انعدام ملاحظته، ثم يتبع كل هذا متأنيًا بـــ آآآآآآآآآآآآآه) ، بمجرد أن أكشف له عن سر تسميتها بالهاء، ومن ثم إيماءة رأس بالفهم، أفقد سيطرتى على نفسى، وأنغمر في ضحكات عالية ساخرة، سرعان ما تغيب عنى، نظرًا لما ألمحه من غضب في عين من أسخر منه، وما يكون منى إلا أن ألتمس العذر، فأنا فقدت السيطرة على نفسى، ولم أقصد السخرية إطلاقًا...سامحنى يا عزيزى الغبـــــــــــ.....؟ لا لا لن أفقد سيطرتى مرة ثانية.

عزيزى القارئ أوشكت حكايتى مع هائى على الانتهاء على أمل لعلنا نلتقى قريبًا مع (فائى) مثلًا هاهاهاهاهاها و لم يتبق الآن سوى أن أطرح عليك سؤالًا أخيرًا كما هى عادتى...

هل حقًا ستثور الهاء؟؟!!

لن أترك لك الإجابة هذه المرة.. فقط سأعطيك الحق في أن تعلو ضحكاتك، أو على الأقل ترسم ابتسامة على وجهك، كالتي ترتسم على وجهى الآن.

- ألّا قولى لى يا ست الكل البيه جوزك صنعته إيه؟

- يوووه...بحق هو أنا مقلتلكيش !!!

- أيوووه هو إحنا اتعرفنا غير من ساعة زى بقيت الناس في التحرير

- جوزى بقى يا حبيبتى بيشتغل في المجلس العسكرى...

- فين؟!!

- في المجلس العسكرى...المجلس العسكرى

- خلاص سمعت...سمعتى الرعد من عنيكى...ليه بقى النكد اللى عـــ الريق دِه؟!

- انتى سمعتى عن شوية الفلول اللى رعبوا الناس في الكام يوم بتوع الثورة

- أهو كل الناس سمعوا

- أهو بقى بسلامته مكلفينه يدور عليهم ويقفشهم فِـــــــــل فِـــــــــل

- إيه دى؟!!...زغردى ياللى مانتش معانا

- لو لو لو لو لو لو لى ى ى ى

- فرحينى يا أختى...فرحينى

- في إيه؟ قولى لى

- انتى عارفة الوليه دى جوزها بيشتغل فين؟

- لأ

- في المجلس العسكرى

- اهيئ

- سمعتى عن شوية الفلول اللى رعبوا الناس في الكام يوم بتوع الثورة

- ااااااااااااااااه

- أهو بقى جوزها بسلامته مكلفينه يمسكهم ويقبض عليهم فِـــــــل فِـــــــل

- هاهاهاهاهاهاهاها

- زغردى ياللى انتى مش دريانه

- لو لو لو لو لو لو لى ى ى ى

- إيه يا جماعه؟!...ما تفرحونا

- تعالى يا بعلى...تعالى

- عارف الست الحِلوة الإمُورة الدلِوعة دى جوزها بيشتغل فين

- آه...فين؟!!

- في المجلس العسكرى

- يا لهوى !!!!!

- وعارف شوية الفلول اللى رعبوا الناس في الكام يوم بتوع الثورة

- أيوه

- أهو بسلامته بقى مكلفينه يقبض عليهم

فِـــــــل فِـــــــل

- يا خراشى !!!!!

- زغردوا ياللى في التحرير معانا

- لو لو لو لو لو لو لى ى ى ى

- بقى انتِ جوزك بيشتغل في المجلس العسكرى ده انتِ نهار أبو كى أخبر

- جوزها بيشتغل في المجلس العسكرى

- وهيقبضوا علينا فِل فِل

-إن شاء الله المجلس العسكرى كله هيتوفي بكره بإذن الله!!!!!!!

* مشهد من مسرحية فلول ريا وسكينة ٢٠١١،أبطاله ثلاثة من الفلول وزوجة أحد قيادات المجلس العسكرى المعتصمة في التحرير

***

ارفع راسك فوق أنت مصرى

***

مش هنمشى من هنا إلا لما تتحقق كل مطالب الثورة

***

أوباما: " يجب علينا أن نربى أبناءنا ليصبحوا كشباب مصر "

***

رئيس النمسا: " الشعب المصرى أعظم شعوب الأرض "

***

سيلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا: " لا جديد في مصر فقد صنع المصريون التاريخ كالعادة"

***

ستولتنبرج رئيس وزراء النرويج : " اليوم كلنا مصريين"

***

فستر فيله وزير الخارجية الألمانى: " أتطلع لزيارة مصر قريبًا والحديث مع قادة الثورة "

***

الـــ CNN: " لأول مرة نرى شعبًا يقوم بثورة ثم ينظف الشوارع بعدها "

***

الجارديان البريطانية: " الثورة أعادت ترسيخ مكانة مصر كقائدة للعالم العربي والشعب المصري أصبح في الصميم الأخلاقي لهذا العالم "

***

ديلي تليجراف البريطانية: " قوة الشعب تصنع التاريخ في مصر "

***

رئيس أركان الجيش الإسرائيلى السابق غابى اشكنازي: " الأحداث في مصر تثبت أنه يتوجب علينا التواضع والحذر في تقديراتنا للعالم العربى "

***

الروائي البرازيلي الشهير بولو كويلهو ساحر الصحراء: " العالم يتحول للأفضل لأن هناك شعوبا تخاطر بأرواحها لجعله أفضل .. شكرًا يا مصريين.. "

***

البرتغالى كريستيانو رونالدو: " أتابع أخبار الثورة المصرية أكثر من أخبار برشلونة "

***

الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل: " الشعب المصرى أصبح أقوى من النظام نفسه "

****

الكاتب الصحفي فهمي هويدي: " إن ما يميز الثورة المصرية أن الشعب هو الذي استدعى الجيش وليس العكس، كما أن الجيش في موقفه كان وفيا للشعب، وقائما بدوره التاريخى كحامى للوطن"

****

رجل الأعمال أحمد عز: " أحيى شباب الثورة...قاموا بما لم نتوقعه "

****

الجيش يناشد المواطنين....لسه في حد ماتصورش جنب الدبابة

****

صحوة ضمير

عندما رحل الضمير عنّا، ضاعت كرامتنا، ودُنست بالأقدام حريتنا، وسُلبت منّا أرواحنا، فأصبحنا أجسادًا بلا أرواح. ولكن لما عاد الضمير إلينا، حققنا حلمًا طالما راودنا، وقضينا على ٣٠ سنة فساد، بــــــ ٣٠ ثانية ألقى فيهم نائب الرئيس السيد عمر سليمان خطاب التنحى.. إنه الضمير يا سادة.

بدأت الحكاية بحلم صعب المنال، سرعان ما أصبح وهمًا، ومن ثم ضاع الأمل، ولا أحد يتحرك. الجميع وقفوا مكتوفي الأيدى، ولم يُرجع أحد السبب لغياب الضمير، وحتى بعدما نجحت الثورة، وحققت من الإنجازات ما كانت لتخطر على قلب بشر، لم يسند أحد النجاح لصحوة الضمير، التي اجتاحت- وفجأة- نفوس الملايين من الشعب المصرى...أما أنا....؟؟؟!...يا سبحان الله حدث شيء غريب وأنا أكتب الآن...

الطبيعى أننى أكتب وأنا أستمع لأغانى الكوادر من المطربين المصريين. فمن طقوسى الغالبة في الكتابة (الكتابة وسط دوشة الأغانى) مع إننى لا أعيرها أى اهتمام، وكأنها غير موجودة بالمرة...ولكنى بالصدفة عند جملة (أما أنا) خاننى تركيزى في الكتابة، وانتبهت لصوت الدوشة، فإذا بها أغنية الكينج محمد منير (لو بطلنا نحلم نموت).. صدقونى هذا ما حدث (لا أقصد تصديق موقف الدوشة)، وإنما هذا ما حدث بالفعل في مصر.. الشعب المصرى غاب الضمير عنه لسنوات طويلة، ولكن لم

يكف عن الأحلام، وأكدها لنفسه.. " نعم....لو بطلنا نحلم نموت ". حتى آن الأوان، وجاءت ساعة الصفر، وخرج الجميع في ثورة أبهرت العالم أجمع. ثورة تمتعت ببراءة سياسية غير مسبوقة.. ثورة ابتعدت كل البعد عن كل الأحزاب السياسية، والقوى المعارضة، التي اعتلت الموجة ،ثورة قوامها كان من شباب (الجيل،البنطلون الساقط،الفيس بوك،تويتر،الياهو) أو كما يقال "شباب سيس"، انضم إليهم شعب، وها هو التاريخ يسجل أعظم ثورة شهدها التاريخ على مر العصور. والآن أعتقد أنه يحق لى الاستشهاد بمقطع من أبيات قصيدتى انتفاضة، في حالة إذا اعتبرت نفسى شاعرًا، لاسامح الله

وبعد ما كان بيقولوا عنَا سوسو وفوفو

أقسموا إنهم لا شافوا زينا ولا هيشوفوا

أعود وأكمل...أما أنا فقد أسندت نجاح الثورة في المقام الأول لله عز وجل، ثم لصحوة ضمير الثوار، التي نتج عنها كل ما تحلوا به من عزيمة، وصبر، وإصرار، ومثابرة، وتضحية. ومن ثم لقواتنا المسلحة، التي ساندت الشعب، حتى حقق أمانيه، فما أروعها من صحوة ضمير! غيرت كيان دولة بأكملها، وعدلت مسارها، بثورة عمرها أيام، عادت على إثرها كرامة وحرية وحياة شعب، لطالما عاش مدمنًا، مغيبا، تحت تأثير حقن التخدير

حياة شعب...
رجعت بحلم حلمنا بيه
عشنا سنين نفكر فيه
ساعينا وراه وحافظنا عليه
ولا عمرنا يوم ملّينا..وقلنا
آخرة سعينا ده كله إيه

أملنا في ربنا كان كبير
صبرنا وصبرنا طال كتير
وفي أيام شهدت صحوة ضمير
عوضنا ربنا عن صبرنا..
في نهايتها خير
واتحقق بعزمنا وإصرارنا
حلم التغيير

شباب ثاروا ثورة بريئة
حولت حلمهم الجميل لحقيقة
وخلاص نفوسهم بالحق..
بقت جريئة

١٨ يوم نايمين في التحرير
لا هتتهم جمال ولا هزهم خيل
ولا رصاص مطاطى ولا برد ليل
وأنا قدامك أكبر دليل

كنت واحد من اللى في قلب الميدان
هتفت بصوتى وصرخت كمان
يا مبارك أنا مابقتش جبان
خلاص مات فيا الخوف
اللى سبق وربّتنى عليه زمان
وأظن دى حاجه....
ولا كانت في الحسبان

والله مهما رحت بعيد بخيالك
ما كان هيخطر ولا لحظه على بالك
إن أنا واللى زيى....
نقلبها عليك وندمر حالك
ونكشف مصايبك ومصايب عيالك

والله وشفت فيك يوم يا ظالم
وبفضل ربى اتردت المظالم
شفتك مذلول وعنيك مكسورة
ابقى خليها بقى تنفعك...
سوزى هانم السنيوره

وآدى آخرة اللى يمشى ورا ماره
نهايته بتبقى سوده وشكله مسخره

خلعناك ولا أضيق آندر وير
وطوينا بخلعك صفحة عهدك المرير
والبركة فينا شباب التحرير
وسلملى على جيمى والعدلى وزهير
واوعى تنسى سى عز أبو شعر حرير

طبال العالمه مايسترو الحزب الواطى
اللى ياما خلانا نطاطى ونطاطى
هو بروح مامته فاكر نفسه رياض السنباطى

وأحلى سلام لقواتنا المسلحة القوية
اللى تعاطفوا معانا وفهموا القضية
بجد طلعوا رجاله وعلى أد المسؤولية

الظلم خلاص مضى عصره
لما حسنى خلع وساب قصره
وأخيرًا حس الشعب بنصره
اللى شهد بيه العالم بأسره
ما الشعب خلاص حطم قيود أسره

ورجعت الحرية من ميدان التحرير
بكل بساطة ولا أجدع تدبير
ورجع المصرى تانى كبير
الله على دى صحوة ضمير
فوقت شعب عاش ياما أسير

أقسم بربى العلى القدير
ما أسلم تانى لحقن التخدير
ما أسلم تانى لحقن التخدير

بنهاية صحوة ضمير، لابد أن أتقدم باعتذار رسمي لكل من قرأها واستاء من بعض ألفاظها، التي اعتبرها البعض خارجة - إلى حد ما- عن حدود الآداب العامة، مع إنه ليس من طباعى أن أعتذر عن شيء، طالما أشعر بأننى لم أخطئ فيه، ولكن إلحاح غيرى، وبالأخص والدتى، بحذف كل ما ورد في القصيدة من ألفاظ خارجة، كفيل وحده بإجبارى على تقديم اعتذار لكل من قرأ هذه القصيدة، حتى لو كان من قرؤوها هم أنفسهم من قصدتهم بإيحاءات الألفاظ، التي بدت خادشة للحياء من وجهة نظر البعض، كما أشرت من قبل.

مع تمنياتى بقبول الاعتذار

اُتهمنا نحن شباب جيل الثورة، أو إذا صح القول نُعتنا بلقب، ما كان لنا إطلاقاً -ولكن الأمر لله- سنسلم لقضائهم، ونرضى باتهامهم، أو نعتهم سيان، ونقول بأننا نعم كما قلتم عنا " شباب سيس". لذا، باعتبارى أولًا:شاب من شباب هذا الجيل الثورجى، إذن فأنا سيس، ثانيًا : من كتب هذه القصيدة إذن فقد أصبحت أحد قُرّائها، ولا يوجد أمامى أى مانع في إبداء رأيي حول ما ورد في القصيدة من ألفاظ تبدو في نظر البعض خادشة للحياة....أقول:

" من منطلق أننا شباب سيس، كما وصفتمونا، نحن نستخدم هذه الألفاظ وأكثر في لغتنا (السيسية)، هذا المسمى الذي ابتكرته في لحظتي هذه، التي أكتب فيها، ونعت به لغتنا المعاصرة، نسبة إلينا كشباب، اتُخذت السيسية صفة له، فالشباب السيس لا يشعروا إطلاقًا بأدنى حرج عندما يتفوهوا بكلمة (آندر وير)، كما هو الحال بالضبط بالنسبة لرجال الشام والخليج الذين ينادونا أزواجهن بكلمة (مره) أكثر ما ينادونهن بأسمائهن، ولا يختلف الأمر أيضًا عن هذا التشبيه المزعوم بأنه خادش للحياء (روح مامته)، فمن منّا في هذه الحياة لا يعد بالنسبة لأمه أغلى من روحها (من الآخر كده هو حد يطول يبقى روح مامته).....

وأخيرًا ليس بوسعى سوى أن أقول أن الأعمال بالنيات، والله سبحانه وتعالى هو من سيحاسبنا، إذا كنت قاصدًا الإهانة أكثر منها إيصال معنى، لا أشعر بأنه سيصل إلا بالاستعانة بهذه الألفاظ، وكعادتى هذه، التي أشعر بأنها إما أصابتك بملل من تكرارها، أو كونت بداخلك فضول جعلك تنظرها في نهاية كل قصيدة، أترك لك أيها القارئ العزيز سؤالًا...

هل أنا بالفعل أخطأت في الاستعانة بهذه الألفاظ الخادشة ظاهريًا، والتي سبق وبررت سبب استعانتى بها، أم إننى لم أفعل؟؟

أتمنى من الله، ثم منك عزيزى القارئ ألا تتسرع في الحكم
عليّ من لفظين أو ثلاثة، رآنى البعض مُخطئا في استخدامهم.



قبل الاستفتاء

ده ترقيع دستور...مش تعديل دستور
المشايخ قالوا في الجوامع....لازم نقول نعم لتعديل الدستور
معظم الشباب....لا لترقيع الدستور

بعد الاستفتاء

بصباعى الفسفورى غيرت دستورى
لو صباعك مش بامبى ما تقعدش جنبى
لازم ناخد برأي اللى قالوا لا....هى دى الليبرالية

حكاية مواطن أدلى بصوته



يراودنى إحساس، منذ هذه اللحظة التي جاءتنى فيها فكرة كتابة هذه القصيدة، بأننى سأكون الأول، بل الأول والوحيد، الذي سيكتب في هذا الموضوع ولا أعرف لماذا؟!!!....هل لأنها لم تصادفنى من قبل ضمن قراءاتى المتواضعة؟! أم لأن المواطن المصرى لم يعتدها؟! أم لأنه لم يشهدها من الأساس؟!...هل سلب الحرية، وكبت الآراء، وحذف مقولة الإدلاء بالصوت من حياة المصريين السياسية كانوا سببًا وراء عدم إتاحة الفرصة أمام الكُتَّاب للتعبير عن هذا الحق الدستورى المُشرع في أشعارهم؟؟!!....الله أعلم

انتظرت هذا اليوم، الذي سيتم فيه الاستفتاء على تعديل بعض مواد الدستور المصرى، بفارغ الصبر، لدرجة أننى خشيت الموت، قبل أن أعيش هذه اللحظة الفارقة في حياة المصريين. دعوت الله أن يطيل في عمرى، حتى أختار ما يقره عقلى، ثم ألطخ إصبعى بالحبر الفسفورى، ومن ثم أحمل شعارًا، وقد كتبته عليه (بصباعى الفسفورى غيرت دستورى)...يا له من حلم طال انتظاره...

السبت ١٩ مارس ٢٠١١ م...

استيقظت باكرًا، وكعادتى بدأته بالصلاة، ثم بجولتى الاستكشافية المتكررة داخل المطبخ، ومن ثم سطوى المسلح على مائدة الإفطار، وأخيرًا وليس آخرًا اصطحابى لفنجان من الكابتشينو الساخن لشرفة الشقة، للاستجمام بارتشاف الكابتشينو، والتلذذ بطعمه، مع نسيمٍ الضحى البارد الممتع الناعم، الأشبه بخيوط الحرير. بقيت واقفا في شرفة الشقة لأكثر من ساعة، حتى بدأت الحركة تدب في الشارع، ثم دخلت لغرفتى، وأعددت نفسى للمشاركة في أول لحظة حرية، سيشهدها المصريون في حياقم منذ زمن....

كانت هذه هى المرة الأولى، التي سأدلى بها بصوتى، مشاركًا في الحياة السياسية. ومع دقات التاسعة، التقطت بطاقة رقمى القومى من حافظتى الشخصية، وأسكنتها جيبى، فاليوم لا حاجة لبطاقة انتخابية، طالما سقطت بصعوبة استخراجها، وعدم وجودها الملايين من الأصوات. كان اليوم شاذًا، بكل ما تحمل الكلمة من معان. الجو ممتع، والسماء صافية، والفرحة تعم نفوس الشعب من أطفال وشباب ورجال ونساء وشيوخ. الجميع تنفسوا هواء الحرية، بعد كتمان أنفاسهم عنها لعقود ثلاثة.. وصلت للجنة الاقتراع التابع لها، برفقة مجموعة من أصدقائى، سبق لى أن بيّت معهم على الذهاب سويًا، لتأدية واجبنا، بالرغم من أننا كنا مختلفين في الرأى تمامًا، فمنّا من رأى أن مصلحة البلد في نعم ومنّا من ناقض ورآها في لا،

ولكن في النهاية احترم كل منّا رأى الآخر، فما كان يهمنا سواء أكانت النتيجة بنعم أو بلا، هو مصلحة مصر الحبيبة، فكل اختيار له سلبياته وايجابياته وفى النهاية ما سيرتضيه الأغلبية سيكون.

وقفنا في طابور المستفتيين.. طابور الحرية. وكانت هذه أيضًا هى المرة الأولى التي أشاهد فيها المصريين واقفين في طابور طويل كهذا، دون ملل من وقفتهم، ولا شِجار فيما بينهم.. فعجب عليها ثورة، وعجب عليه شعب!!

ظل الطابور في التقدم، وأنا معه حتى جاء دورى، وبكل ذوق وأدب واحترام ودلال، نعم دلّلنى المشرف وطلب منى الإطلاع على بطاقتى الشخصية، ثم أعطاها لى بمجرد انتهائه بابتسامة عريضة، كشفت عن صفار أسنانه الذى بدا وكأنه لون مُح بيضة، ومن ثم أعطانى كشفًا، وطلب منى التوقيع بجانب اسمى، وما إن انتهيت، حتى مد إلي من كان بجانبه يده، ليعطينى ورقة الاقتراع.. التقطتها من يده فرحًا، واختفيت خلف الستار الأخضر، وعلمت على نعم، ثم طويت الورقة، وخرجت وأسقطتها أمام أعين الجميع في صندوق الاقتراع، ومن ثم غمست إبهام يدى اليمنى في الحبر الفسفورى، وخرجت فرحًا مسرورًا، آملًا في حياة أفضل..

كانت هذه حكايتى مع صوتى، والتي سأرويها هذه المرة ولكن...

حكاية مواطن أدلى بصوتـــــه
هرويها وأقولها بكل سرور
في يوم ما خرج بدرى من بيته
يقول رأيه في تعديل الدستور

كنت بحلم كتير بجـــد
يكون ليا صوت زى أى حد
أعبر بيه عن رأيـــى
وأحس إنى راجل بيبنى مجد

صحيت من النجمة في يوم ١٩
من شهر مارس ٢٠١١
وجهزت بطاقة رقمى القومى
عشان أأدى واجبى تجاه بلدى

خرجت من بيتى وأنا فرحان
حاسس إنى طاير
وفي ربى عشمان
أعيش لحظة حرية

ماحستش بيها من زمان
وفعلًا....

وصلت للمكان
ولقيت إقبال تاريخى على اللجان

وقفت في الطابور مستنى الدور
بقى كل دى ناس جايه تعدل الدستور؟!!

سرحت وافتكرت أيام الديمقراطية
بتاعت مبارك وشلته الحرامية
أيام البطاقة الانتخابية
والأصوات الساقطة والنتايج الوهمية

قال وكانوا بتوع نزاهة
ياهوى ده كان عندهم بلاهة
وكانوا ناس تافه تفاهة

فاكرين نفسهم بيضحكوا علينا

يا ريتك يا دنيا قوتينا
وخسفتى بيهم الأرض قبل
ما يتحكموا فينا
ويستغلوا ضعفنا ويلعبوا بينا

الله يرحم أيامك يا عمو عز
وفعلا هى دى آخرة الغز
اتعاملت معاملة الكلاب
وبقيت ولا تسوى حباية رز

قال مرشحين الحزب الواطى
فازو بأعلى نسبة كراسى
وحياة أمى لولا إن وقتها كنت حافي
لكنت رميتك بالجذمه...
زى ما عملها في بوش
منتظر الزيدى الصحافي

تسعه وتسعين فاصل ٩٩ في الميه
أنا راضى زمتك دى نتيجة

انتخابات نزيهة يابن المفترية
ولا الحكاية بقت تكيه
وسكتناله دخل بحمارته الغبية

قال وسونه في مؤتمر احتفال الحزب
طالع يشاور بإيده وماشى برجليه يدب
بيحيى شوية الخونة حلفا الغرب

ياااااااه ....الله لا يرجعها أيام
الله...!!!

ده أنا خلاص بقيت قدام
باقى واحد وأبقى في أول الطابور
وخلاص هيجى عليا الدور

مش معقول...موظف اللجنة قالى
من فضلك حضرتك وريني بطاقة هويتك
وبكل ذوق استسمحنى
وقالى وقع هنا بإمضتك

ماصدقتش نفسى وقلتله
للدرجة دى انت بقيت تتعامل
بأخلاق مهنتك

أخدت الورقة وبكل هدوء
علمت على نعم وطبقتها
وبعدين رميتها في الصندوق

وسواء كانت النتيجة بنعم أو بلا
أتمنى اللى فيه الخير لينا نلقاه

من كل قلبى بقولها لك
حمد لله على سلامتك يا مصر
ومبروك عليكى فرحة النصر.

ظهرت نتيجة الاستفتاء بنعم للتعديلات الدستورية، ولكنى لم أفرح كثيرًا لأن ما ارتضيته هو ما ارتضاه الأغلبيـــة، وإنمـــا حزنت بشدة، من نسبة المواطنين، الـــذين ذهبـــوا لـــلإدلاء بأصواتهم، فما كان متوقعًا بعد هذه الطوابير التي رأيتـــها بـــأم عيني، بل ووقفت فيها، أن يتعدى عدد المقبلين على اللجـــان الثلاثين مليون مواطن مصرى، من ضمن أربعـــين مليـــون، أو أكثر بقليل، مُعترف بأصواتهم، ولكن ألا يتجاوز العدد حاجز العشرين مليون، فهذا ما لم يتوقعه أحد...

وكما هى عادتى، سأترك لك أيها القارئ سؤالًا، بعـــدما تراجعت عن إعطائك الفرصة لتسأل نفسك وتجيبها، وسأتوجه بسؤالى هذا خصيصًا لمن امتنع عن الذهاب لـــلإدلاء بـــصوته، وظل في مكانه سلبيًا...

لماذا لم تذهب أيها الممتنع، ولن أقول أيها الـــسلبى لتـــدلى بصوتك، وتؤدى دورك تجاه مستقبل بلدك، الذي هو بـــالطبع مستقبلك، بما أنك تعيش فيها؟!!

أنا أعتقد بأن دماء الشهداء، والتي أضعتها بسلبيتك هـــدرا، كفيلة وحدها بجعلك إيجابيًا مشاركًا، فالثورة اندلعت من أجل الحرية، من أجل يوم كهذا الذي امتنعت عنه. صوتك أمانـــة، ستسأل عليها.. رجاء تأكد بأننا سنكون، بل ستكون مصر في أمس الحاجة لصوتك خلال الأيام القادمة من عمرها، فـــدعنا

نكمل معًا صنع التاريخ من جديد، وتعديل مسار بلـــد طالمـــا طمع غيرنا فيه، وتذكر دائمًا أن هذا لن يتحقق قبل أن نغير من أنفسنا، فالله لا يغير ما بقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم.



إضافة

في حب مصر

الفرق بين العشق والهيام
عرفته يوم ما حبيتك أوام
يا مصر والله ما يكفينى في وصفك
كل حروف الكلام

كتبت في حبك أغانى وأشعار
وطلعت مقصر تقصير جبار

رسمت بقلمى علمك
وفي نصه نسر
لحد ما خلاص جف الحبر

توجت بدمعى أفرح النصر
وبدمى كتبت بحبك يا مصر

رسمت في حبك ياما قلوب
وطلع قلبى أنا دايب دوب

وهبت نفسى خادم ليكى

وعشت على أمل انى أرضيكى

فرشتلك الأرض بروحى
بدل ما أفرشهالك ورد
تتماخطرى عليها ولا زيك حد

الكل خلاص بقى تحت رجليكى
وانتى رجعتى صاحبة المجد

بحبك ومش عارف أعبر بجد
أقولك إيه وللا إيه وللا إيه
مش لاقى لجمايلك أى رد

مش عارف الكلام خلص وللا لأ
وفي نفس الوقت قلبى نازل دق

كل دقه من دقاته
بتقولك... بحبك أوى
يا أرض الكنانة يحميكى القوى

من عيون الحساد دايمًا يصونك
ومن شر النفوس ومن اللى يفكر يخونك

بأمانه الجنة في سحر جمالك
والحنان كله في حضن ترابك

لمسة نسيمك البارد لخدى
بتخلينى طاير ولا حد أدى

ميّة نيلك دى نبع الحياة
وخير أرضك ده طوق نجاه

بحبك يا مصر وبأعلى صوت
هفضل أقولها لحد ما أموت

الموت هيفرقنا غصب عنّا
لكن قبرى في أرضك حته من الجنة

فخور بجد بيكى يا بلدى
فخور انى ابنك وإن انتى امى
بحبك يا مصر

كلمة أخيرة



أعطيتك الآن أيها القارئ بين يديك شهادة على نفاقى، ولا أتمنى منك سوى أن تقرأها جيدًا، لعل رسائلى تُسلم إليك بعلم الوصول، حتى لو اتسمت بعض الشيء بالغموض، فأنا لم أتخيل نفسى شاعرا يومًا ما، ولم أحلم بهذا اللقب من الأساس، على الرغم من إيمان الكثيرين بموهبتى، وبهذا اللون الذي أقدمه، إلا إننى أعدك بعدم تكرار هذه التجربة مرة ثانية، ولكن هذا لا يعنى اعتزالًا نهائيًا لكتابة الشعْر، فقط سأظل أنفذ فكرتى الأول، بأن أختم كل عمل أنفذه بقصيدة، حرة في الغالب، تصف أحداثه...

أؤكد في النهاية بأننى لا أعد ما كتبته هذا ديوانًا شعريًا، أكثر من كونه شكلًا جديدًا من أشكال الدواوين الشعرية، ألبسته ثوبًا مقاليًا، ساخرًا في بعض الأحيان، بنكهة شبابية تحمل من الجدية والهزلية ما يعكس شخصية شاب من شباب جيل ثورة يناير، ويحافظ على خفة الدم التي اتسمت بها الثورة المصرية، فكتابى هو مملكتى الخاصة، التي أعطيتك الفرصة لتوغلها، بالإضافة لكونه مزيج من الماضى والحاضر، في محاولة لعقد المقارنة بين ما كنّا عليه، وما لمسناه من تغيير بعد الثورة، حتى لو كان طفيفًا، وذلك لتشعر بجمالها، وتمجد من فعلها، وتشكر الله العلي القدير على توفيقه لنا، وتسعى جاهدًا للتضحية بكل ما تملك من أجل رفعة مصرنا الحبيبة وأضيف

بأننا لن نشعر بقيمة ما حققناه من انتصارات إلا عندما نتخلى عن مصالحنا الشخصية ومطالبنا الفئوية فنحن نجحنا لأننا فضلنا المصلحة العامة على الخاصة التي بدورها ستجلب لنا الخير فالثورة لم تنته بعد ولن تنتهى فهى تحتاج لمزيد من الجد والعمل لا لمزيد من (المليونيات والاعتصامات).

اللهم بلغت اللهم فاشهد.

بسم الله الرحمن الرحيم...قال تعالى في محكم تنزيله:

" قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ".....آل عمران٢٦

أبجدية عامية في محاكمة فرعون

(ا)

اسمعنى ياللى افتكرت في يوم انك ملكت الدنيا

وقولى حسيت بإيه؟؟ لما كل حاجه ضاعت منك في ثانية

(ب)

بربى وربك فهمنى كنت ناوى تاخد منها ايه

دى دنيا فانية وعملك فيها بس....اللى هتتسأل عليه

(ت)

تنام وتقوم وفي كل يوم نقول هتعيد حساباتك

يمكن تعمل حاجه نفتكرهالك يوم مماتك

(ث)

ثانية ورا ثانية كان ظلمك بيزيد
حرام عليك انت إيه؟!..كان قلبك حديد

(ج)

جالك يوم والكل بقى فيك شمتان
وقلوب ياما عماله تدعى عليك...وانت لسه عامل فيها
غلبان!!

(ح)
حالك دلوقتى ما بيسرش حبيب إنما بيسر عدو
وانت لسه بتخدعنا ..يا أخى خلاص افهم...الناس على
كدبك اتعودوا

(خ)
خاف ربك قبل ما تسبها وتروح
بينك وبين الموت خطوه..وتبقى جسد من غير روح

(د)

دولتك هتبقى هى قبرك

ورينا بقى يا كبير هتحكمها ازاى بعندك

(ذ)

ذل ومرار وقلة قيمة عشناهم قبل ما تفارق

والنهارده الآية اتعكست يا سونه يا أبو موود رايق

(ر)

روق يا ريس..حبايبك بيقولولك ماحدش واخد منها حاجه

والنبى يا شوية حوش ما تحرقوا دمنا واعتقوه كفاياه بقى بلادة

(ز)

زمن الكبار خلاص كان صفحة وانطوت

وحبايبك راحوا وراحت أيامهم وانتهت

(س)

سبحان المعز المذل قادر على كل شيء
من حاكم على عرش لسجن طرة لمتهم في قفص عامل نفسه
برئ

(ش)
شايف الدنيا وصلت بيك لفين
يا أخى اذا كانت مادمتش للنبى محمد مستنيها بس تدوم
لمين؟

(ص)
صابغ شعرك وانت خارج عـــ الناس تتحاكم
يا جدو ده انت رجل بره ورجل جوه...عيب عليك احترم
شيبتك وكفاياك بقى مراسم

(ض)
ضربة معلم جات من شوية شباب
لا تقولى شغل قوى معارضة ولا حتى أحزاب

(ط)

طظ فيك وفي أيامك وفي كل اللى يتشددلك

بينا وبينك ربنا هو العالم باللى عملته وهيحاسبك

(ظ)

ظنيت في يوم إنك مالكش نهاية

فظلمت ونهبت...بس خلاص يا شاطر خلصت الحكاية

(ع)

عشت عمرك وانت حاكم ما بتفكرش غير في نفسك

وناسينا

وأهو جه اليوم اللى نسيناك فيه لما لقينا اللى فكر فينا

(غ)

غابت عنّا طلتك البهية بس ظلمك وجبروتك حاضرين

والله ما أنا عارف المحاضر هتلاحقها منين وللا منين

(ف)

فرعون ووارث عرق الفرعنة أبًا عن جد

وكنت عاوز تبتلينا بابنك وريث....وانت عرق فرعنتك فيه مد

(ق)

قالوا قلبك قلب شاب في التلاتين

يا ترى بقى بعد ده كله....هتفضل مطول وعاملنا فيها مسكين؟!

(ك)

كفاية.....وبقولهالك بأعلى صوت

ارحمنا...ولا تموت انت لا اما إحنا اللى نموت

(ل)

لو كنت فاكر نفسك ملاك وحمل وديع

والله ما كان ربنا ابتلاك بالعكس....ده إحنا من بعدك كنا هنضيع

(م)

من يوم رحيلك عنا والنفوس كلها ارتاحت

الناس لقيت نفسها بعد ما ياما في الزحمة تاهت

(ن)

نحلف باسم الله...ما نندم يوم عليك

واللى يعملها منّا...يروح يشيل عنك بلاويك

(هـــ)

هترد الدين يا ظالم والحق لازم هيبان

مسير الأيام هتكشف اللى صان مـــن اللى خان

(و)

واشهد يا تاريخ...اشهد يا تاريخ على مجد المصريين

بيحاكموا الحاكم بالعدل...وبعدل ربنا كلنا مؤمنين

(ي)

يا حاكم يا اللى لسه عايش وعالناس بتفترى

خد عبره مـــ اللى سبقك....قبل ما يجيلك يوم وتنجلى

* أُضيفت مؤخرًا للكتاب بتاريخ ٢٣ أغسطس ٢٠١١م وذلك بعدما تخليت جزئياَ عن وعدى لك أيها القارئ بخصوص كتابة الشعر ولكنى قد استشطت غضباً من مشهد محاكمة المخلوع مبارك الاستفزازي و لم أجد أمامى سوى الكتابة لأعبر بها عن غضبى فكتبت كما هى عادتى.

مساحة خالية

تركت لك يا من اخترت كتابى لتقرأه ومن ثم لتحله ضيفًا
على رفافه من الكتب بمكتبتك مساحة خالية لتحبر فيها
إجاباتك عن أسئلتى التي لم تأتنى إجابتها بعد– بالطبع إذا
طاب لك ذلك– على أمل أن نلتقى قريبًا أو تجمعنا الصدفة
فكما يقال "رب صدفة خير من ألف كتاب".

الكاتب

***

تحت الطبع

أولى سلسلة كتب (بالمقلوب)

٢×١

أيام الغضب والكرامة و جمهورية طرة العظمى

إما

قريـــــــبًا

أو

مع الذكرى الأولى للثورة ٢٥ يناير ٢٠١٢م

فانتظرونى...

مع اكتب

القادم

دومًا أفضل.

الفهـــــرس